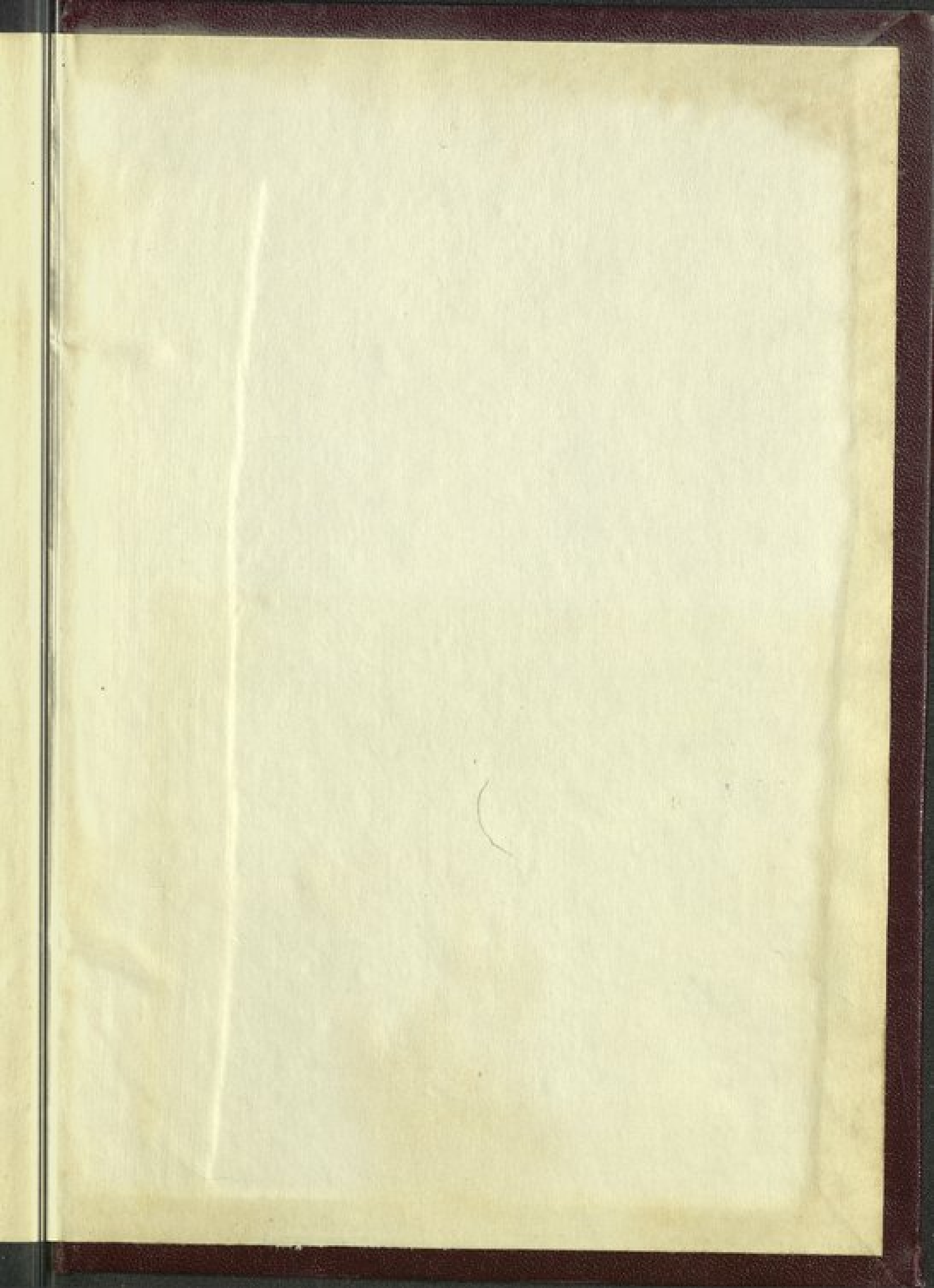
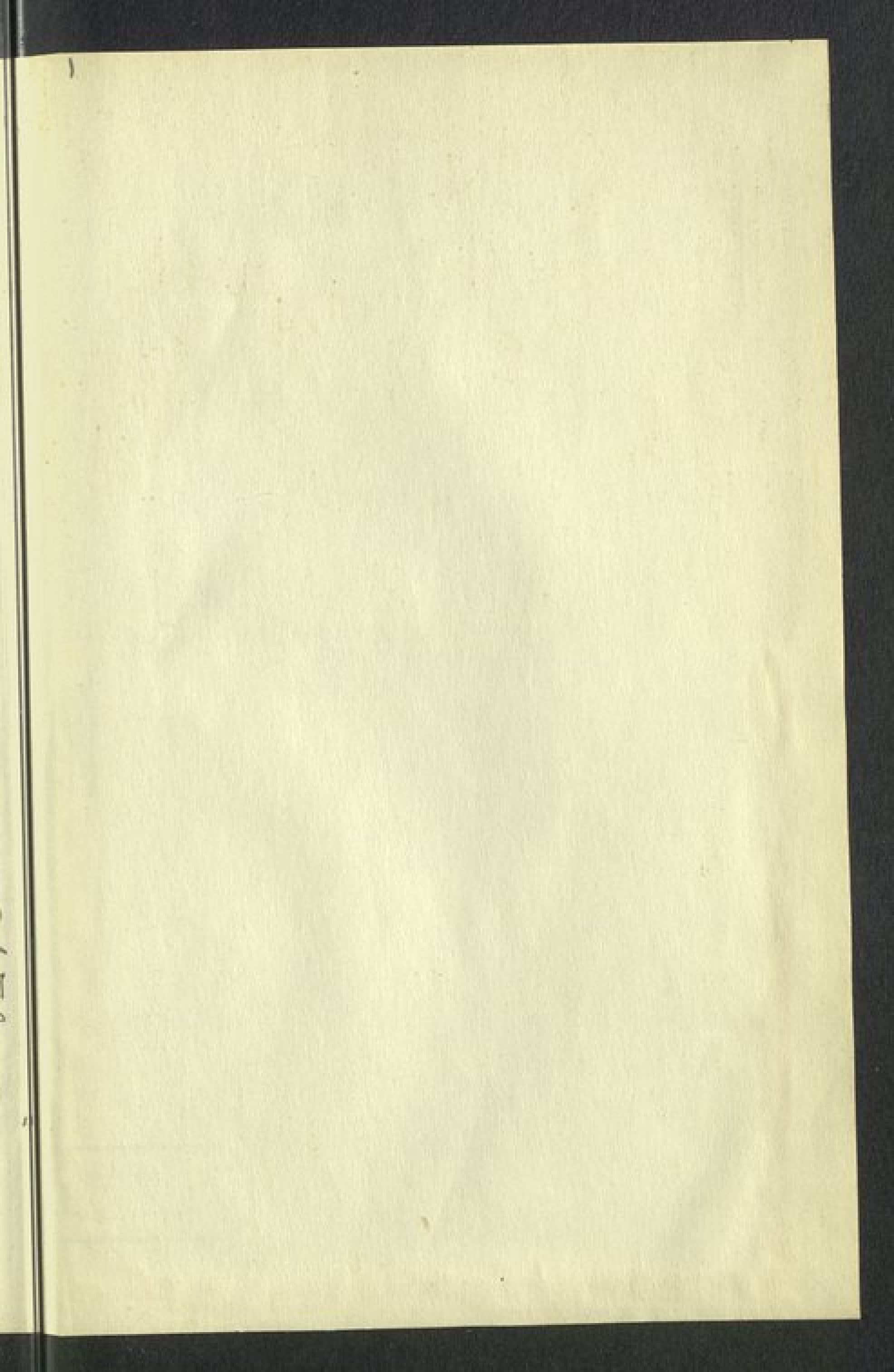
السامي

في ظلال الصراحة



Kin sy



في ظلال الصراحة

أبحاث وآراء ومقالات في الأدب والنقد

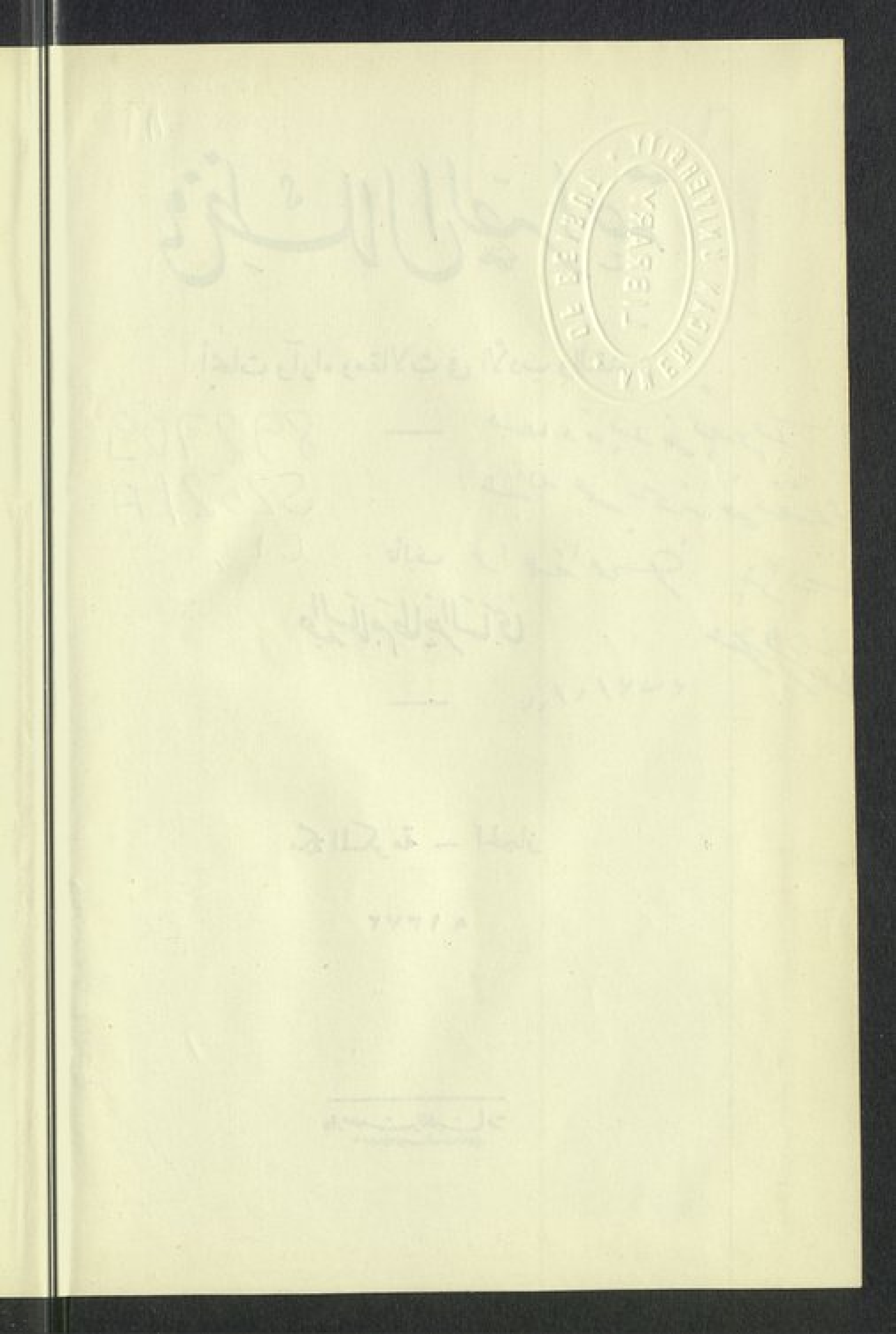
تأليف

عبد السلام طاهر الساسي

مكة المكرمة — الحجاز

١٣٧٢ هـ

دار مصر للطباعة



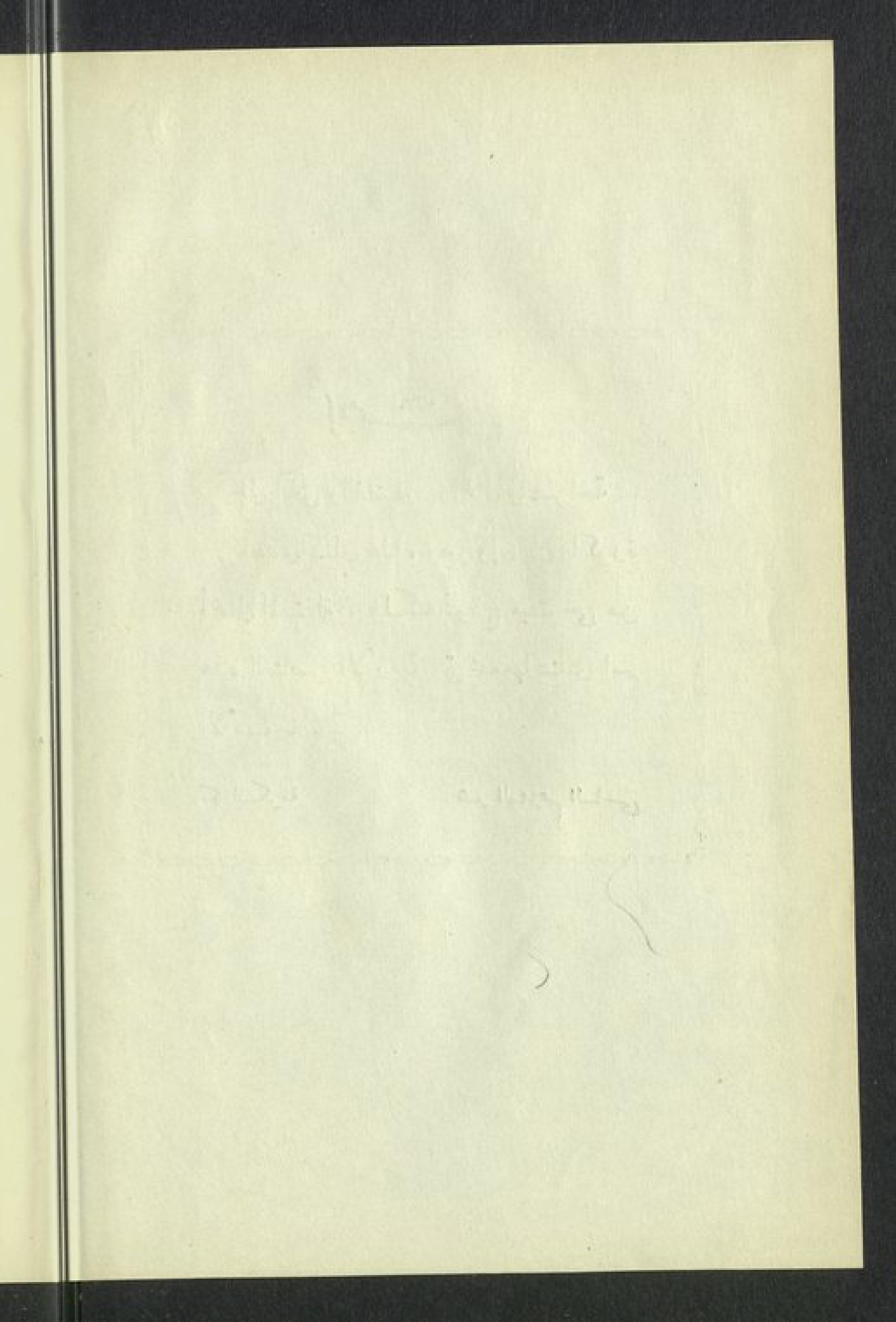
إهداء

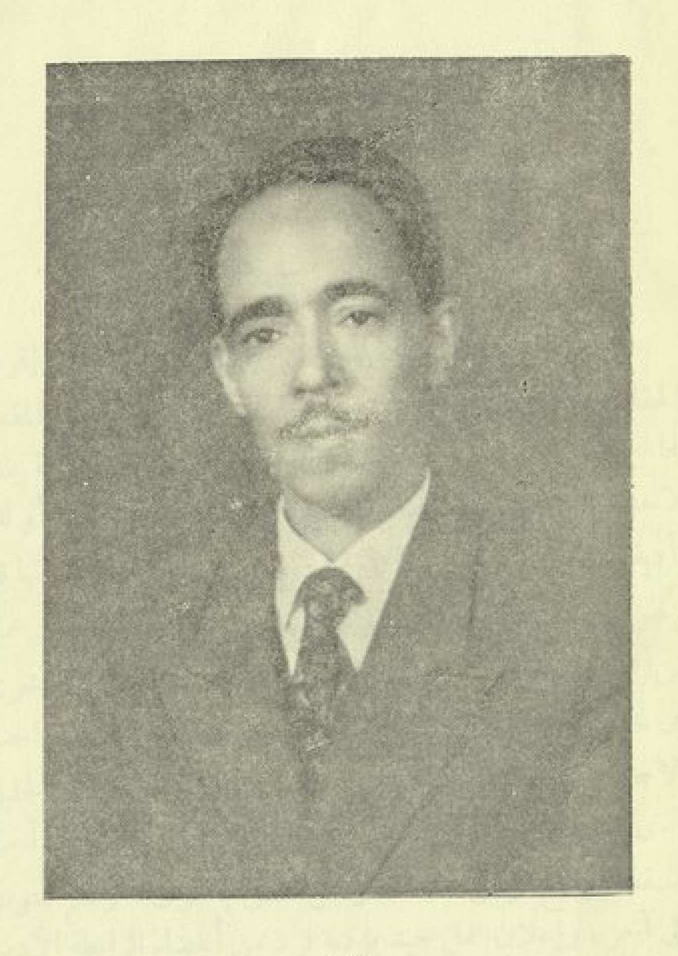
إلى الحق والفضيلة . والجمال والصراحة :

أهدى كتابى هذا ، وهو وإن كان باكورة أعمالى المستقلة ، ولكنه نموذج مستوحى من هذه العناصر الأربعة التى يجمعها عندى اسم الأدب . . . .

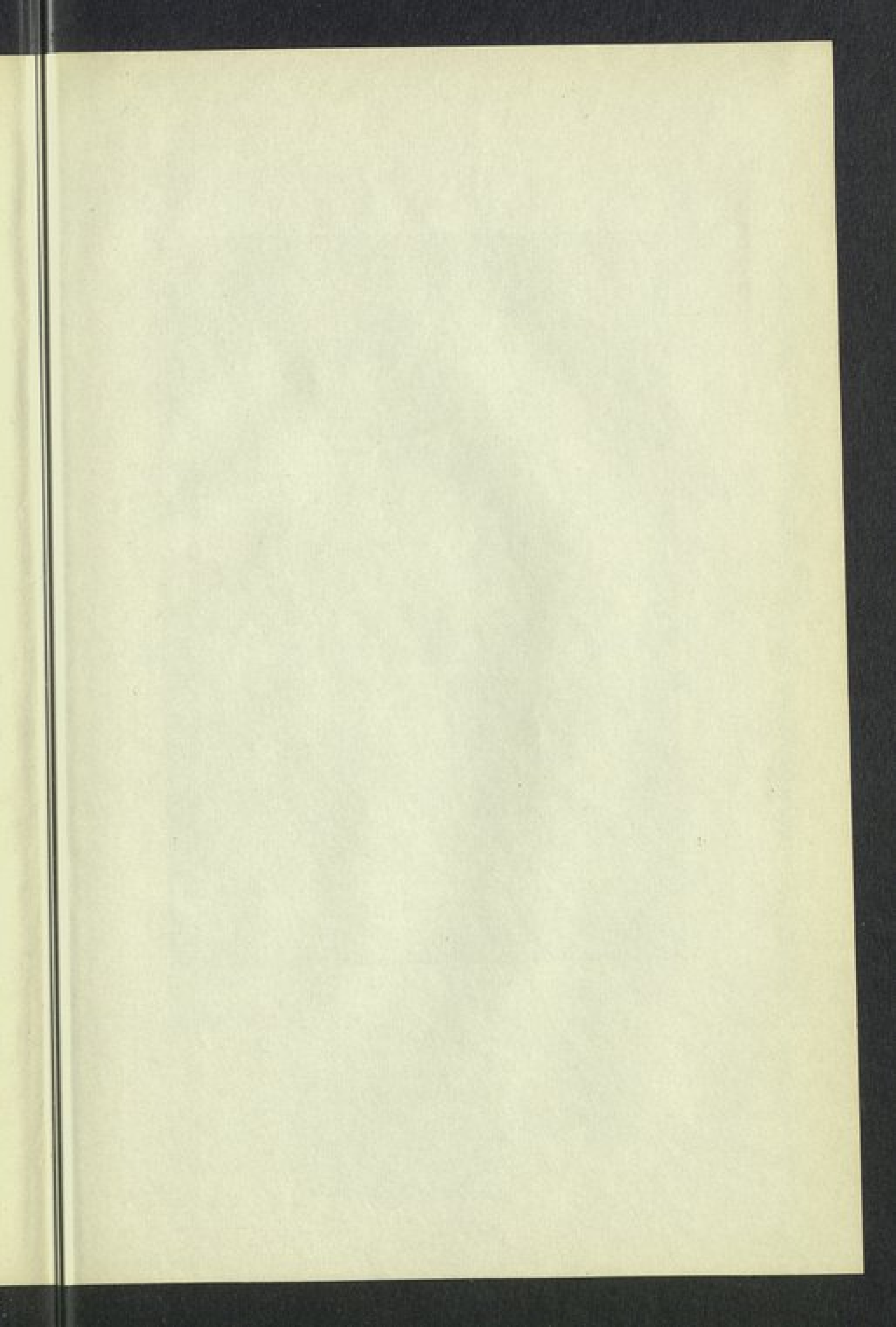
مكة المكرمة

عبد السلام الساسى





المؤلف



مقـــدمة

بقلم الأديب الحجازى الـكبير

الأستاذ محمد حسن عواد

من الواجبات الوطنية المفروض تبادلها بين الأفراد ، إقرار الحقائق فى أنصبتها حيث تتمتع كل حقيقة بالوضع الصحيح المقدر لها بين أمثالها ، وحيث يتمتع الفرد القائم بهـذه العملية بلذة لا تعدلها لذة من لذائذ الحياة النفسية ، وهى لذة الجهر بالحق أو لذة تأدية الشهادة الصالحة تبرعا فى وقت أحوج ما تـكون لأدائها فيه وهو وقت ضياع الحقوق بدونها فيـكون أداؤها عند ذاك عملا من أعمال الإنقاذ أو الإسعاف السريع ، ومن هنا تنشأ لذة أخرى هى لذة النتيجة الفائقة التى يجنيها الفرد الذى يفعل هذا الواجب الاجتماعى ، أو هى لذة الـكسب الجميل للخلق الاجتماعى الجليل الذى يحمى الذمم من التفسخ والانحلال ، ومن شاء مزيداً من فلسفة التوسع فليقل أنها لذة وصل نفس بأخرى ، وضم صوت إلى آخر ، وإعلان عمل جيد يؤديه فرد من أعضاء الرابطة الأدبية التى تعمل بوحى الفن والفـكر لا بوحى المادة أو بوحى الاستهتار ، أو بوحى التشبث بالشهرة على غير أساس حتى يستحق التشبث بها .

بهذه اللفتة أقدم لقراء الأدب الحى هذا الكتاب الذى وضعه صديقنا الأديب النشيط الأستاذ عبد السلام طاهر الساسى وهو يمثل جانباً صالحا مما استوحاه من هذه الحياة الصاخبة بدلالاتها وتجاربها وإشاراتها .

وهو كما يكتب هذه المقالات بوحى من هذه الأوحاء يكتبها كذلك فى جو من الصراحة تسبح فيه تصوراته وجولاته الحيوية ولامراء فى أن هذا الجو جو جبار لايطيق أن يستنشق ويستمرىء هواءه الحر كل ممسك بالقلم ومسود للصحف ومبيض وناشر وجامع وطابع باسم الأدب أو العلم أو الفن .

إنه جو الجبابرة الذين لا يزنون مستقبلهم بميزان الحظوة عند بعض الوجهاء فإن رجحت الكفة بما يقدمون ولو كان من سقط المتاع — وهو ما لا يسقطه بعض الوجهاء من شروطهم فى تلك المساومات — رجحت كفة المستقبل المحدود فى نظرهم القصير ، ورجحت معها قيمة الحياة الرخيصة التى يعلق عليها سماسرة الأدب الرخيص أكبر الآمال ، وإن شالت شال معها كل شىء ، وعلى هذا الأساس المنهار تقوم أعمالهم الأدبية ولا حساب فيها بعد هذا الحساب لقيمة من قيم الحياة الممتازة .

ولا جرم أن ما يقدمه الساسى فى هذا الكتاب شىء بعيد ، بعيد جداً عن ذلك الضرب من أدب الفارغين من زاد الفكر وحرية الضمير والناعسين على موائد الصراحة الاجتماعية فتمر بهم

كوارثها وهم غير محسين . فهو لا يخضع لذلك القياس الفسل ، وإنما يخضع لقانون الصراحة الذى قد يئن منه وجهاء المادة الذين يريدون أن يجذبوا إليها رجال الخلق المستقل والشعور الحر وما هم بقادرين .

فى هذا الكتاب شخصية غير مائعة ولا متزلفة تحاول أن تساهم فى واجبات الأدباء الأحرار فحيهلا بهذه القوة التى تدل على خير ، وهذه الإنسانية التى أرجو أن تدفع كثيرا من الكتاب إلى تزويد مكتبتنا بكنوز الإنسانية التى أوقن بوجودها عند أكثر كتابنا ، وأوقن أنه لن يمنعها من البروز إلا مشاغل العيش وحدها .

فإليها أعظم تحياتى وهى فى مخبئها الآن تنتظر مواتاة الظروف ومعاونة الدوافع التى يغبط الساسى على مواتاتها له ومعاونتها إياه .

وإلى اللقاء معها فى كتب أخرى ليس كتاب الساسى هذا بأفضلها ولا هو بأقلها شأنا ؟ .

غرة جمادى الأولى ١٣٧٢ جدة

محمد حسن عواد

جناية الأدب على الجيل الحاضر

. . . وإذا استقصينا شباب البلاد المتعلم اليوم وجدنا الأكثرية الساحقة من هذا الشباب ميالة إلى الكتابة والأدب أكثر من سواه ، وإذا أمعنا النظر فى صميم الحياة الحجازية نجد أن حب الشهرة هو ديدن كل شاب وجد فى الحياة ، وتلك هى سنة الحياة اليوم فى غالب الأمصار ولما كانت الشهرة عن طريق الأدب شيء غير ممتنع ولا صعب ، تهالك الشباب عليه فى شكل ملموس لا يحتاج إلى برهان ، وهو الأمر الذى يعرقل مساعيهم ويطوح بهم إلى الحضيض وإذا كان هذا هو الأمل المنشود من وراء الحياة فلاشك أن الأدب جناية كبرى على الحياة نفسها ، وجناية على الجيل بأسره وهو الخطر الداهم فيما إذا غض الشباب طرفه عن الأعمال الحرة كما هو الواقع وصار ينظر إلى الأدب كوسيلة إلى الشهرة والظهور وصار يتبع الآثار الأدبية معتبرا نفسه فى صفوف الأدباء إلى نحو ما هنالك من الغطرسة والكبر والغرور دون جدوى ، وعلى حد قول رئيس تحرير هذه الجريدة[1] فى مقال افتتاحى له : « نحن لا نمقت الأدب كفن جميل يرقق الإحساس » وهو الواقع ، فإن الذى نريده ونتوخاه

---

(١) الأستاذ أحمد السباعى .

هو أن لا يركن الشباب إلى الحياة الأدبية فحسب ، وإنما من واجبات الحياة أن يساهم كل شاب وهب مواهب الذوق والشعور فى الأعمال الحيوية الهامة التى تعود بالنفع على الأمة والوطن الذى أصبح مفتقراً إلى الصناعات أكثر من سواها ومفتقراً إلى « الميكانيكا » وإلى كل الأعمال الحرة أكثر من افتقاره إلى الأدب المبذول الذى لا يعبر عن عزيمة صادقة ولا عن شعور حى ، لذلك نحن اليوم نرفع الصوت إلى الشباب فنقول .

يا شباب البلاد ! !

حطموا عنكم هذه القيود الأدبية التى ملكت عليكم اللب والإحساس والتى إنما قدستموها باعتبارها فنا جميلا « يرقق الإحساس »

انظروا إلى الحياة العملية نظرة العامل المجد المخلص فى عمله ، وتفرغوا للعمل الحر ، العمل الذى تفقده البلاد ، ويكسبكم مجداً وعزة وسلطانا ! !

إن الحياة اليوم كما قال رئيس تحرير هذه الجريدة « طيارات » و « غواصات » وكما برهنت الأمم الحية : على أنها كفاح ونضال و « عقيدة وجهاد » لا كما تقولون أنتم بأنها أدب وشعر وفلسفة ..

كلا ثم كلا ، فإن الأدب غير الحياة وليس كما يتصور ذلك بعض من يقول الحياة الأدب والأدب الحياة ! !

وكثيراً ما كتبنا حول هذا الموضوع ورفعنا الصوت عاليا قائلين :

إذا كنا جميعا نقرأ ونكتب، ولا نحب أكثر من أن نقرأ فمن للأعمال الحرة إذاً؟ ومن الذى يقبض على زمام الحرف اللازمة للحياة؟ أنجلب العمال من الخارج ليعملوا لنا مطالبنا للحياة أم نعمد إلى هؤلاء الكهول الذين أخنى على بعضهم الزمن، وسيخنى على البعض الآخر فى وقت قريب.

فإذا لم يكن الشباب الناشىء هو العامل الوحيد على إنعاش الحياة العملية فعبثاً نحاول السمو، وعبثاً نحاول السيادة والرفعة.

إن البلاد بشبابها تحيا وبأيدى شبابها تموت!

إن دعائم الرقى والحضارة لاتقوم إلا على أكتاف الشباب!!

ومتى كان الشباب يجنح للكتابة والأدب فسلام على الحياة لأن الحياة ليست أدبا فحسب، وإنما هى عمل وجهاد ونضال، وهنا لا ضير علينا إذا صرحنا قائلين: جناية الأدب على الجيل الحاضر تهوى بالبلاد إلى الحضيض. وكيف لا يكون الأدب جناية على الجيل بعد أن تفقد البلاد كيانها الصناعى والتجارى؟؟

نعود ونرفع الصوت عاليا فنقول:

يا شباب البلاد!!

ليس الأدب شيئا... وإنما العمل هو كل شىء.

إن الأمم لن تتقدم ولن تنجح إلا على أساس العمل الحر والنضال ومصارعة الحياة.

أشحذوا أذهانكم. وفكروا فى مستقبل بلادكم تدركون قيمة العمل وأثره فى الحياة.

طالبوا بالعمل الحر جهراً ولا تأخذكم بهرجة الشعر وبداعة التصوير فى النثر والقصص وإنما قدسوا ذلك كما أسلفنا باعتباره فنا ساميا من الفنون الجميلة .

وبعدئذ نهمس فى آذان الآباء بأن لا يهملوا فلذات أكبادهم ويدعوهم يتكالبون على الأدب وحده ونهيب بهم إلى أن يفسحوا لهم المجال للمساهمة فى ميادين الحياة العملية النافعة التى تنقصنا اليوم فى كل أطوار حياتنا وحبذا لو اهتمت مديرية المعارف العامة وهى التى عهد فيها الغيرة والإخلاص والتضحية فى سبيل الوطن وإعلاء شأنه إلى السماح بافتتاح مدرسة صناعية فنية يتمكن الشباب من الإقبال عليها بصدر رحب دون غضاضة واشمئزاز ، وعندئذ نشعر شعوراً صادقا أننا نعيش من الحياة فى صميمها ؟ ومن السعادة فى أسمى أوضاعها ، وأجمل معانيها .

فعسى ولعل أن تجد هذه الكلمة آذانا واعية ، وقلوبا صاغية ، ونفوسا حساسة بالواجب لنتمشى على سنن الكون والحياة الراقية من حيث التضحية والمغامرة والإقدام على الأعمال الحيوية الهامة والله من وراء القصد ؟

نظرات فى المؤلفات الحجازية

نقد وتحبيذ

. . . وقبل أن نتحدث عن المؤلفات الحجازية يحسن بنا أن نلم إلمامة بسيطة حول المؤلفين والكتاب لأنهم هم مصدر التأليف والينبوع الذى تستمد منه الأفكار ومنتجاتها ، فالمؤلفون فى بلادنا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عداً والقراء قد يزيدون ضعف أضعاف المؤلفين وإذا قارنا بين المؤلفين والقراء ندرك حالا فقدان الإنتاج العلمى والأدبى لدينا وإلى أى حد نحن متأخرون فالمؤلف الذى نعرفه والكاتب الذى نعتقد فيه غزارة المادة وكثرة الإنتاج نجدهما وياللأسف متخاذلين غير آبهين بالواجب وقيمة العلم فى بلادهم بيننا نرى الواحد منهم إذا ألف كتيباً واحداً يغدو صائلا على الكتاب والقراء من دون أن يأتى بمؤلف جديد أو إنتاج جديد وهكذا إلى أن أوشكت روح التأليف اليوم تموت وتتلاشى بالرغم من الإنتاج الذى نعرفه فى نفر ضئيل من أدباء الحجاز ، وبالرغم من هذه الجعجعة الجوفاء على صفحات الجرائد فى كل أسبوع وفى كل شهر .

وأما المؤلفات التى يقتصر موضوعنا عليها فهى شىء مخجل

جداً لا يتناسب مع مانراه من المؤلفات الشهرية الضخمة التى تصدرها البلاد العربية الشقيقة كمصر والعراق ، تلك المؤلفات التى تفيض بالمادة العلمية الغزيرة وتوقفنا على حقائق العالم وخفاياه. ومجرى الحوادث التاريخية والاجتماعية وهذا شيء يوقف الإنسان بين عاطفتين . عاطفة استغراب مدهش . وعاطفة تحسر وانبهات إلى أقصى حد ، وكأنى بك أيها القارىء وأنت تقلب صفحات كتاب «حياة سيد العرب» للأستاذ المرحوم حسين باسلامة وكتاب «الأدب الفنى» للمكتبي وكتاب «الإكليل الذهبي» للعواد وكتاب «ماضى الحجاز وحاضره» للأستاذ حسين نصيف و «كتابى» للعطار ورواية «الانتقام الطبيعى» «والتوأمان» للجوهرى والأنصارى ، ثم تخرج منها حائراً مبهوتا تسخط على هذا الإقلال من المؤلفات وتسخر من بعض هذا الإنتاج العقيم والأدب الذى يتمركز الرخص فى بعض معانيه وأسلوبه ، وقد يكون لبعض هذه المؤلفات فضل بالنسبة لدرجة التعليم عندنا ككتاب الأستاذ (باسلامة) أما الأدباء البارزون من الشباب فقد خاب الأمل فيهم وفقد الرجاء ، وعقد أخيراً على رؤوس الشيوخ المفكرين فلا أحرمنا الله من الشيوخ وخبرتهم .

وكأنى بك أيها القارىء تحاول تمزيق بعض هذه المؤلفات التى زج بها أصحابها فى ميادين التأليف وسميت علينا بعدئذ مؤلفات حجازية ، وأنت تأبى ذلك حرمة للوطنية وتقديسا للفن فى هذه البلاد — إن صح هذا التعبير .

ثم ماذا يستفيد الملاء والجمهور من هذه الكتب الضئيلة وهذا النقل الواضح والتقليد المسف لاسيما الناشئة المتعلمة التى صدعت بهذه المؤلفات التى لاتجد سواها فى كل حين وآخر ، أتستفيد من جواهرها المكنونة ؟ لا أظن ! وهى التى لا تخلو فى موضوعها عن النقل من الأدب والإنشاء التى ملتها الأسماع ولا كتها الألسن وأصبحت شيئا عاديا لا ينظر إليه إلا كل مبتدىء بسيط ، فكيف وهؤلاء المؤلفين الكرام يأخذون طرفامنها ويصوغونها فى قوالب التأليف وتسمى بعدئذ مؤلفات حجازية ؟؟

ماذا تقول عنا الأمم العربية المثقفة حين تسمع وترى هذه المؤلفات فى بلاد كانت وما زالت مهد العلم ومنبع الثقافة والعرفان ومنفجر البلاغة العربية ؟؟

ماذا نفعل اليوم بعد أن فقدنا فضل التأليف ولم يبق فينا من يكتب للفن وحده ، وللغاية وحدها وللمصلحة وحدها ؟؟؟ ماذا نفعل بعد أن صدعنا بهذه الكراريس التى لا نجد سواها ونحن فى حاجة إلى غيرها من البحوث العلمية والتاريخية التى تفيد مجتمعنا الحاضر وتزيد فى تثقيف الناشئة المتعلمة اليوم ، ولا أدرى ولن أستطيع أن أدرى أهو حب الظهور أم حب الكسب الذى دعى هؤلاء المؤلفين إلى تصديع القراء ؟؟ فإن كان ذلك لحب الظهور فنعم ذلك لو كان بشىء مفيد يعم نفعه القاصى والدانى ؛ بلى فالواقع هو أن حب الظهور قد يتغلب على حب الاكتساب لأن المادة

فى غالب هذه المؤلفات تكاد تكون مفقودة جداً وتكاد تكون موجودة فى بعض منها إلا أنها عديمة النفع من حيث عقم الصناعة وسقم التعبير وفساد التفكير فى الأساس، ولقد كان الأجدى بحضرات الأساتذة المؤلفين أن يظهروا لنا مؤلفات أخرى تكفر عنهم بعض الأخطاء التى وقعوا فيها فيكونون بذلك قد خدموا الفن من جهة وأدوا واجبهم من جهة أخرى .

ولن أنسى بعدئذ ذينك المؤلفين القيمين اللذين كان لهما شأن عظيم فى عالم الأدب العربى وهما كتاب : «أدب الحجاز» وكتاب «وحى الصحراء» ثم كتاب «قلب الجزيرة العربية» .

وإن أنس فلا أنس كتاب «المعرض» الذى جمع من منتجات أفكار وآراء أدباء الحجاز البارزين فى اللغة العربية ماضيها وحاضرها ، وحبذا لو أتيح لأدباء اليوم وأظهروا لنا مؤلفات تختص بلغة الضاد التى اندثرت وأصبحت فى خبر كان .

ولنا عودة إلى طرق باب هذا الموضوع فى فرصة أخرى إن شاء الله ؟

غايات التعليم الأساسية

قال الأديب البارز الأستاذ حمزة شحاته : « لقد فقدنا تماماً روح الحياة فى نفوس ناشئتنا المتعلمة بعاملين ، عامل الإقبال على الوظائف وعامل العطلة ، أما الوظائف فهى المجال الوحيد لارتزاق قسم كبير منهم ، والعطلة تلتهم الباقين التهاماً لا هوادة فيه »

وأظننى لا أجحف أن قلت أن الحياة العملية فى بلادنا اليوم تكاد تكون هى الأجدى والأصلح وأن هؤلاء الشبان الذين تخرجوا من المدارس وأصبح البعض منهم عالة على الوظائف والبعض الآخر طعمة للبطالة والفراغ اللذين أوديا بهم إلى الحضيض وصيراهم يتسكعون فى الشوارع والأسواق تسكع الحشرات بين حشائش الأدغال . هم فى طليعة من تفيده الحياة العملية ، بل أنا أزعم أنهم وحدهم أخلق بأن يمارسوا هذه الحياة ويجربوها قبل أن يمارسوا حياة الخمول ، وقبل أن يركنوا إلى الدعة والاستغراق وهم فى ربيع الحياة وعنفوان الصبا ، وأن إحجامهم عن العمل المنتج الصحيح وإقدامهم على الوظيفة والكرسى لهو الداء العضال الذى جناه التعليم الناقص على ناشئتنا وصيرهم حيارى لا ينظرون إلا للوظائف ولا يستطيعون عملا خلافها

تأففاً من الأعمال الشاقة وحياء من زملائهم الموظفين الذين كانوا يدرسون معهم . وكل ذلك يعود إلى التعليم الذى ما بث فيهم من قبل روح الرجولة والحياة الحرة ، ولا هداهم إلى سبل المعيشة بأنواعها . . . لو كان التعليم شاملا كل مبادىء الحياة لما أصبحت الحالة كما هى عليه اليوم .

إن كثرة التعليم فى بلادنا اليوم على النسق السالف لا تفيدنا بشىء ، إذا نظرنا إلى العاصمة مثلا نظرة فحص وتدقيق . وجدنا المدارس فيها تتجاوز العشرة أو زيادة ووجدنا الكل يتعلم ليقرأ ويكتب فحسب وعلى هذا الاعتبار فإنك لاتجد همة عالية من وراء هذا التعليم ولانفوسا طموحة تؤمل أن تعمل عملا حرا بعدإتمام الدراسة بل بالعكس فهى لاتطمح لغير المناصب الرسمية أوالوظائف فى الدوائر والمحلات التجارية أو تظل عاطلة تلتهمها البطالة ويفتك فيها الفراغ فتكا ذريعاً ، أو تبق عالة على أهلها وذويها تقاسى من السخر والازدراء والحقارة مالا احتمال بعده ولا صبر عليه .

هذه غاية التعلم والمتعلمين عندنا وهذا ماينتظره كل شاب متعلم بعد إتمام الدراسة ، وهذه هى الأمانى العظام التى تصبو لها قلوب ناشئتنا المتعلمة ، فإذا كنا جميعاً نقرأ ونكتب ولا نطمع فى أكثر من الكتابة والقراءة ونحن شباب ناضج نستطيع المغامرة

فى ميادين الحياه بأنواعها فإلى أى هوة ستودى بنا هذه العاصفة ، وإلى أى وهدة تستقر بنا ؟؟

إذا سرى فينا داء حب الوظائف والعطلة وبقى فينا من يريد أن يكون رئيسا يصول ، أو موظفا يشار إليه بالبنان أو أديبا يجرى وراء الشهرة فى المجالس والأوساط العامة ، فمن للأعمال الحرة بعدئذ ؟ .. من الذى يقوم بالعمران والإنشاء والبناء ؟؟.. من الذى يقبض على زمام الحرف كالنجارة والحدادة والصياغة وسائر الأعمال الحيوية الهامة التى لا تستغنى عنها أمة من أمم العالم ؟؟ . عندما نفقد إقدام الشباب على هذه الأعمال وقد بدأنا ويا للأسف نفقد ذلك ماديا ومعنويا . أنجلب العمال من الخارج ليعملوا لنا مطالبنا للحياة فنصبح عالة عليه فى كل أمورنا ؟؟ . . إن هذا هو الخطر الداهم الذى يحدق بنا منذ أمد بعيد والذى يكون نتيجته بقاء التعليم على ما كان عليه عندنا ، فإن لم نشعر به اليوم فسنشعر به غدا . وهناك الطامة الكبرى وهناك المصاب الجلل ، والعاقبة الوبيلة فإذا لم يكن الشاب الناشىء هو العامل الوحيد لإنشاء الحياة العملية فلا نجاح لنا مطلقا وليس لنا وجود فى الوجود .

يجب أن يفهم الشاب المتعلم اليوم أن التعليم النظرى فى حد ذاته وسيلة لا غاية ، وليس معناه أن يخرج الطالب حالا إلى الوظيفة وأن غير الوظيفة لاتليق بمقامه بدعوى أنه مثقفا متعلما.

لذلك يضطر بحكم ذلك أن لا يعمل عملا دون الوظيفة ولا يحلم بغير التربع على الكرسى .

يجب أن يعلم الشاب المتعلم أن أعمال الحياة كثيرة وهى تتطلب هذا النشىء المتعلم ليعمل فيها ويحوز قصب السبق فى مضمار الحياة العامة ، والحياة العملية بذاتها لا يقومها إلا شباب متعلم مثقف يستطيع المغامرة بقوة ذكائه وعقليته ومداركه .

يجب أن لا يتأفف الشاب المتعلم من كل عمل فى الحياة يوكل إليه ولاسيما الأعمال الحرة كالصناعة وما شابهها وهى التى لايستغنى عنها قطر من أقطار العالم .

يجب أن يفهم الشاب المتعلم أن ممارسة الأعمال الشاقة وغيرها لا تمنع التعليم ولا الثقافة وأن من الشرف أن يكون المثقف عاملا قويا فى بلاده يفيد ويستفيد . هذه هى غايات التعليم الأساسية التى نطالب بها الناشئة المتعلمة اليوم ، وهذا ما يتطلبه كل غيور على سمعة بلاده ووطنه من حيث القوة والعظمة والمجد والخلود ، وأن هذه الآمال الكبيرة التى نتوخاها اليوم تجعلنا لا نألو جهدا فى مطالبة سعادة مدير المعارف العام وهو الذى عهدنا فيه غيرة وتضحية وحرصا على توفير حياة مشرفة للناشئة فى الحجاز بما أدخل على التعليم من تحسين ، وبما أحدث فيه من نظم أن يخصص درسا فى برامج المدارس الأميرية يعنى بالعمل الحر والحث عليه كالصناعات والحرف على اختلاف أنواعها وحتى إذا ما تقرر هذا

الدرس رسمياً فى المدارس وطبع فى أذهان الناشئة بأسلوب حكيم .
فيفهم الناشىء بعدئذ أنه سيكون مثقفاً وعاملا قويا فى بلاده ،
ويخصص لهذا الدرس الهام الأساتذة الأكفاء الذين يعالجون
الموضوع بجد واهتمام ويحببون إلى نفوس الناشئة حب العمل الحر
والحياة العملية ، ويكون هذا الدرس تمهيداً لإنشاء مدرسة صناعية
فى المستقبل أسوة بالأمم الحية المتمدينة .

وبعدئذ تصبح بلادنا جديرة بالإعجاب والتقدير فى كل مرافق
الحياة .

إلى الغرفة التجارية

قرأ الناس نشرة الغرفة التجارية بمكة التى وزعتها أخيراً بشأن الغلاء ونوهت فيها عن كثير من الأمور التى سببت هذا الغلاء .

وأقول أن المسألة ليست مسألة قرارات ونشرات ولكنها مسألة تسعير الأرزاق الضرورية لحياة الإنسان ويجدر بي والحالة هذه أن أهمس فى أذن كل من سعادة أمين العاصمة وحضرات رؤساء الغرف التجارية بمكة وجدة ، أن يصعدوا سوية إلى المرجع السامى ويتقابلوا وجها بوجه ، وما هى إلا ساعة واحدة أو أقل منها حتى يعودوا ظافرين بالنتيجة .

فعلى هذا الأساس ، وعلى هذه الاعتبارات تظهر نتيجة القرارات أو النشرات الشفاهية التى عنيناها .

وبهذه المناسبة أحب أن أذكر بعض حالات واقعية يفهم منها عما إذا كانت أمانة العاصمة قد قصرت فيها أم أنها صهينت عنها.

فالحالة الأولى هو جشع الجزارين فى بيع اللحوم ، فإن سعر أقة اللحم الضأن قد وقف من بعد الحج حتى الآن بستة ريالات عربية ، وإذا قدرنا تقديرا صحيحا كما هو الواقع والملموس بأن سعر الرأس الواحد هو ستون ريالا عربيا وأن الوزن الصافى لكل

رأس خمسة عشرة أقة فى ستة ريالات يساوى تسعين ريالا عربيا أى بمكسب ثلاثين ريالا فى كل رأس ، وإذا قدرنا أيضا تقديرا صحيحا بالمتوسط الحسابى أن كل جزار يذبح يوميا عشرة رؤوس فيصبح كسبه يوميا ثلاثمائة ريال يستحلها من دم الأمة وبالأحرى من دم الفقير والموظف والبائس والأرامل وما إليهم .

والحالة الثانية هو السمن ؛ وما أدراك ما السمن الذى أصبح صوته يرن فى أعماق النفوس المظلمة رنينا يرجع معنى الأسف والحسرة والندامة من جراء تحكم باجابر ، والديبانى ؛ وباراجح ، وبامخلف ، وباحفظ الله وغيرهم من باعة السمن حتى أصبح سعره سعرا حضرميا صرفا لا ينقص عن ثمانية ريالات وهو قابل للزيادة إلى عشرة ريالات فى غالب الأحيان أما باعة الفول المدمس فالله حسبى وحسبهم فقد قرروا من عندياتهم سعرا للأقة من السمن ما يزيد على أربعة عشرة ريالا لأن بيعهم بالقطاعى أما جماعة باحضرم فبالجملة والكل منهم لا خير ولا بركة .

وهناك موضوع آخر نثبته للحقيقة والواقع متوخين منه إصلاحه ووضع حد للعابثين به .

إن بعض باعة الكباب والشاورمة يبيعون بضاعتهم بدون وزن معتمدين فى ذلك على الوزن الارتجالى لابتزاز أموال الناس بطريق غير مشروع ، فبائع الكباب يبيع كبابه بسعر عشرة ريالات للأقة فيقدم للمشترى بضعة أسياخ باعتبارها ربع أقة أو نصف أقة

حسب طلب المشترى معتمداً فى ذلك على قوة ذكائه فى الوزن الارتجالى .

والواقع أن كل عبث بالأسواق ، وعبث الناس بما فيهم العمال وغيرهم الذين يرتادون المطاعم المذكورة بحكم الضرورة أفلا يجب على أمانة العاصمة أن تضع حدا لهذه الفوضى السائدة فى الأسواق والمطاعم أو تلزم رؤساء هذه الحرف على الأقل بالإقلاع عن هذا العبث السائد وتقرير سعر لكل صنف من أصناف المأكولات كما هو الحال فى البلاد المتحضرة وإلزام من ذكرناهم بالبيع وزنا شرعيا لاوزنا (مخاخيا) بدلا من أن يترك الحبل على الغارب وكل يعمل برأيه ويستبد فى الأمة وضعفائها وأراملها .

أدعياء الأدب

.... والأدعياء عندنا كثيرون جداً ، وأصواتهم ملأت الأجواء صراخا وعويلا ، وفى كل يوم نرى دعياً يزمجر تارة ، ويثرثر أحيانا ، يفهم قليلا من اللغة وقليلا من الإنشاء فيصرفها على الناس بدعوى أنه أديب مثقف ينظر إلى المستقبل نظرة الزعيم الخطير . بينا نرى ذلك ادعاء أجوف لا قيمة له فى الحياة ، ومينا واضحا على الفن والتاريخ بصورة لا يفهمها إلا من وهب مواهب الذوق والإحساس .

وفى الواقع أن أدعياء الأدب هم زمرة من الناس مختلفون ما بين شباب وشيوخ ، زجوا أنفسهم فى ميادين الثقافة وأعلنوا عنها بالثرثرة الجوفاء والوطنية العمياء ، ومن ثم اغتالوا عرش الأدب على حين غفلة يوم أن سادت الفوضى كل الأوساط الأدبية ، فاغتنموا الفرصة فى أوان سنوحها وإذا بهم فى أسواق الأدب يتسكعون ذاهبين آيبين لاشغل لهم سوى الثرثرة والعربدة على حساب الأدب والأدباء وإذا بهم يدعون ما لا يعلمون ، ويقولون مالايعقلون ، ينظمون الشعر السخيف المتقطع الأوصال حيث الرقاعة والمسخ يظهران عيناً على سحنة آثارهم الشعرية ،

ويكتبون المقالات الركيكة حيث الأسلوب المفكك ، والتعبير الفاسد ، وفساد الفكرة أساس كل ما يكتبونه وما ينظمونه ؛ وكل ذلك تجده بعد تسكع وتلكع ، وتفكير طويل ممل دون جدوى ، وفى النهاية تكون العاقبة رذيلة جداً إلى نحو ما هنالك من الأشياء التى لا يرضاها العقل ولا الذوق ولا الوجدان ، ويبرأ الأدب والأدباء منها .

فهؤلاء هم أدعياء الأدب وسماسرته وجراثيم أدواته الفتاكة، هزؤا بالأدب وألبسوه ثوباً من الخزى والصغار وهتكوا بحرمة الفضيلة وكادت تنتحر لولا جهود نفر من أعلام الأدب الحر قاموا وحطموا هذه الأشباح التى هى فى هيكل أرواح وحافظوا عليها من أيدى العابثين ، وما الأدب إلا فضيلة تعتنقها النفس الإنسانية الحساسة ، إذ لولا الفضيلة لما كان ثمت أدب أو رقى ، وأدعياء الأدب هم أدعياء الفضيلة بلا ريب فى الوقت الذى نراهم ألصق الناس بالرذيلة وهى ديدنهم الوحيد الذى طبعوا عليه إلا أنهم يظهرون بمظاهر الفضيلة حباً فى الشهرة وتكالبا على البروز والظهور دون فائدة .

وإذا قلت أدبا . فما أقصد سوى أدب الفضيلة ، والفضيلة هى المجال الوحيد لسلامة الإنسانية ، وهى الباعث لضمان الحياة ، وإعلاء شأن الأدب وبلوغه الذروة اللائقة به بين الأمم .

ولقد أصبح الحديث عن الأدب اليوم شيئا عاديا فى المقاهى

والحوانيت والشوارع ، فلا تمشى لحظة إلا وتصطدم بأديب ، ولا تمر بشارع إلا وتتعثر بشعرور قد يحرجك غالبا بأسئلته الجوفاء المملة ، إلى نحو ما هنالك مما أسقط معنوية الأدب والأدباء ، وهزأ بمكانة الشعر والشعراء .

ولا ريب أن الباعث لذلك هم هؤلاء السماسرة الأشرار الذين جنوا على الأدب جناية لا تغتفر وجعلوه حرفة لهم يعيشون على حسابه بالعربدة والنصب والاحتيال ، وإنا لنأمل أن الزمن سيتولى سحقهم ونبذهم من الوجود ، وما يوم فشلهم واندحارهم ببعيد .

هذا ما عن لى كتابته عن أدعياء الأدب فى بلادنا ، أولئك الذين فهموا أن الأدب عبارة عن لغو الكلام ، وزخرف الألفاظ ، ورصف الجمل وتنميق العبارات فحسب !

جنون الشهرة

. . . وقبل أن أتبسط فى موضوع المقال أقرر أنى لست أقصد بالمجانين اللابسين أو « الفاسخين » على حد تعبير سواد الناس ولكننى أقصد بالمجانين أولئك الذين يتهافتون على كل شيء طريف فى الدنيا يستلفت النظر .

فمجانين الشهرة قد يكونون من هذا النمط . وقد يحمد جنونهم هذا إذا كان فى حالة هامة من حالات الحياة أدبية أو سياسية . أو اجتماعية . أو اقتصادية والشهرة من حيث هى ديدن الرجل العصامى الحر الذى يأبى إلا أن يحلق فى أجواء كلها أمل ونور وكلها حرية وسعادة على أساس أن تكون منطوية على مادة ذهنية صافية ومعانى تغرى النفوس . وأن تكون عارية عن الشوائب والأغراض الرخيصة . تلك الشهرة التى تستمد من واقع حالات الحياة كما أسلفنا بحيث لا تقبل الزيف والمين والتضليل . تكون مركزة بأوفر قسط من الكرامة والاحترام .

فإذا كانت الشهرة على هذا النحو فحيهلا بها . وسهلا بمجانينها أما ما نحن بشأنه فجنون الشهرة هو الجرى وراء كل جديد ببساطة الطفل . وتطفل المجهول . وسذاجة الرجل الفطرى — ومجانين

الشهرة فى الأدب الرخيص هم أولئك النفر الذين عاشوا ويعيشون فى كل زمان ومكان يعبثون بالأدب والأدباء . ويطوحون بالفن ويلبسونه ثوباً من الخزى والعار — هم أولئك الذين يناصرون الرذيلة بدلا من الفضيلة ويدعون إليها تحت ستار من الزيف والأباطيل .

وليت هذا الجنون ينطوى على حالة صادقة تستوجب هذا التهافت السريع ولكن وياللأسف فإنه محصور فى حالة رخيصة جدا — ألا وهى الأدب الرخيص الذى يتمركز الرخص فيه من حيث انعدام الجو الفنى . وانعدام القدرة على الإلقاء والتعبير الصحيح . والأتيان — بأسلوب رصين يستهوى عاطفة القارىء — ويبعث الدهشة والروعة فى نفوس — السامعين .

ومن أغرب ما لوحظ على هؤلاء المجانين أنهم يسيرون مع عواطفهم تدفعهم شهوة الظهور وحب الشهرة الكاذبة ولو على شىء تافه ممقوت لأنهم يجدون فيه ضالتهم المنشودة .

وأحب فى هذه المناسبة أن أسجل نموذجاً من هذه الحالة المستهجنة فى بلادنا بين من تدفعهم شهوة الظهور وبين من تركزهم قوة العقيدة والأدب الصحيح .

صادف أنى اجتمعت فى العام المنصرم بحضرة الأديب الأستاذ محمد عمر توفيق فى مجلس حافل بالأدباء والموظفين وما إليهم — وقد جرى بينى وبينه حديث عن الأدب والأدباء — وكان

حينذاك مشروع أدبي عام يأخذ طريقه إلى البروز في البلاد — فسألت الأستاذ عن مدى عزمه على الاشتراك فيه فأجابني في الحال وملؤه الغيظ قائلا :

أنا لا أزج بنفسي في ميدان أخرج منه صفر اليدين وهل من فائدة ؟ وما قيمة هذا الاشتراك الذي لا أعرف له نتيجة ؟

فأخذت أفكر في إجابة الأستاذ توفيق طويلا حتى علمت مدى طموحه واحتفاظه بكرامته التي لا تروج عندها السفاسف والخزعبلات . والحياة على حساب الفوضى . والظهور الأجوف . والشهرة الزائفة ومن ثم أكبرت في الأستاذ محمد عمر روحه . وعلمت أن الأدب الصحيح هو الذي لا يزج بصاحبه في كل ميدان ومسرح ما لم يكن ذلك حافلا بجلائل الأعمال المجيدة الخالدة التي تعود عليه . وعلى الأمة بالنفع العام .

ولهذا فإن الأدب الصحيح هو الذي يشهر صاحبه ويظهره ويجعله علماً يرفرف فوق سماء الأدب ؟ .

أحب الحيـــاة . !

أحب الحياة لأنى أسمو إلى الكمال ، وسبيل الكمال هو سبر غور الحياة واستكناه حقائقها ، واستطلاع ما فيها من خير وشر ، وحق وصراحة ، وحب وجمال حتى تنكشف لنا محاسن الوجود ومساوئه وتمثل أمامنا خفايا الحياة وتظهر رموزها وأسرارها وتبرز من عالم الظلام إلى عالم النور وذلك بطريقة الفكر والأدب وبطريق الشعور الدافق والإيمان الصادق على أن ننظر إلى الحياة نظرة فنية لا زيف فيها ولا تضليل حتى نستمرىء حلاوتها ونغذى أرواحنا بمتعها ولذائذها فنكون بعدئذ قادرين على مسايرة النظم والدساتير التى بها نستطيع أن نعيش على وجه الأرض ثم نصل إلى حدود الخلود ، كما يجب فى الوقت ذاته أن نقدس الشرائع السماوية ونستقبلها بقلب مفعم بالشعور وبالإيمان ، ونتهافت على تلك الأوامر والنواهى فنعظمها ونحتضنها ونبثها فى أرواحنا حتى نصل إلى الغاية السامية التى من أجلها وجدنا فى الحياة لأن الخالق العظيم أوجد الدنيا لتكون سبيلا إلى الآخرة التى هى نهاية الوجود ومستقره ، وبعبارة أوضح هو كما جاء فى قول السلف « إن الله تعالى أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة » ، والآخرة هى الخلود

الذى نذكره ونعنيه والخلود هو غاية الكمال المنشود ومن أراده فليستعد له ويضحى فى سبيله ليصل إليه قريرا آمنا .

وإنى إذ أحب الحياة فإنى أشعر شعوراً صادراً من قرارة نفسى بذلك الحب والتفانى فى نيل الوجود الراق مع عدم التذمر والتشاؤم والصخب على الحياة كما هو شأن كثير من شباب اليوم ولهذا أرانى أقتحم ميادين الحياة وأواجه خطوبها وأوصابها وأتطلع إليها بوجه مشرق نضير مع أداء فروض الله وعدم تعدى حدوده لأضمن أولا السعادة فى الحياة ، وأتمنى وأحاول أن أصل إلى الخلود بعد رضاء خالق وعفوه الذى أرجو أن يشملنى ويحيطنى بسياج ، من لطفه ورحمته وليس ذلك على الغفور الرحيم بعزيز .

أما حب الحياة لأجل الحياة فحسب ، فهذا جهل مطبق أشبه بجهل الماديين الواقعيين المفرطين فى الواقعية ، وليس من بأس على من كان هذا مذهبه ودينه أن يفكر تفكيراً صحيحا بعد تجربة طويلة تتمخض عن جنوح منه إلى العوامل التى تمكنه من الوصول إلى الخلود بدون تردد وبدون جهد على أن هذا لايكون إلا بالسعى إلى الكمال المنشود .

وفى هذا العصر الذى طغت فيه المادة على الروح لم نجد إلا النزر ممن يحبون الحياة لأجل الخلود ويؤثرونه على متع الدنيا وملذاتها ويمكثون طويلا فى انتظار ساعة انتهاء الأجل ليواجهوا عالما خالدا كله طهر وعفاف ، وكله أمل ونور حيث تقر الأعين وتلذ الأنفس

بما تشتهى وتتمنى ، وإن الإنسان العاقل يجب أن يؤسس منهج حياته على أساس حديث المشرع الأعظم سيد البشر عليه السلام ، وهو أن يعمل الإنسان فى الحياة عمل الخالدين وعمل الفانين معاً ويدع الأمور كلها لمسير الكون وخالق الخلق لأنه ليس لحى إرادة أو تدبير .

فبهذه الحكمة النبوية الخالدة يمكن للإنسان أن يحيا حياة حافلة بالمكارم والعظات ، وإن يضمن السعادة طيلة بقائه فى عالم الفناء كما يضمنها كذلك فى عالم الخلود متى ما سار على النحو الذى ذكرناه واتعظ بالعبر والموت والفناء .

وحب الحياة شيء واجب يقره الدين والمنطق وواقع الإنسان غير أنه يتطلب قوة دافعة مؤثرة على ميول الإنسان وعواطفه مع تحكيم العقل للتغلب على الأهواء ومجابهة الحقائق واستكناه الأمور الجوهرية وغير الجوهرية لكى يستطيع أن يحيا ويعيش مع الأحياء فى جو مشبع بالحقائق النيرة ، وبهذا يتجلى له حب الحياة وتتسع آفاق حبه ؛ ومن ثم يدرك قيمة الحياة وقيمة الموجودات ويعيش مع المعاصرين زمنا طويلا حتى يودع الحياة ويستقبل الخلود .

وليس حب الحياة كما يتصور الخياليين ملهاة وتزجية فراغ ، أو جرياً وراء السراديب يعيش الفرد فيها عالة على الحياة نفسها حتى يفتك فيه الانحلال فتكا ذريعا ، وإنما حب الحياة يتطلب مسايرة الواقع والظروف التى تحيط بالإنسانية كما يتطلب المغامرة

والعمل المستمر والدأب نهارا وليلا لأن الله عز وجل لم يخلق الدنيا عبثا ، ولم يشأ أن يتخبط العالم فيها بين حرب وخصام ، وحب وسلام إلا لعمران الكون وضمان الحياة لأمر يريده ولأجل محدود ، ولهذا يجب حتما أن نحب الحياة ونتفانى فى حبها ، ونسوح فى ظواهرها وبواطنها ونعمل جهد المستطاع لإسعاد حالتنا وتأدية رسالتنا التى يفرضها الحق والواجب على كل إنسان فى الاتجاه الذى يتجه إليه ولا ضير على الإنسان أن يعيش فى الحياة بين النقص ـ والكمال ، وبين البؤس والسعادة والشقاء والراحة حيث إذا ماعارك الإنسان دهره وزمانه وظفر بسقط وافر من خير الحياة وشرها وساير كل ظرف من ظروفها بما يقتضيه الواقع والوضع عد ذلك الإنسان إنسانا بالمعنى الصحيح واعتبر ربيب الحياة وابنها البار وهو الذى يتوسم فيه الخير والصلاح لأنه عارك كثيرا وساير كثيرا ، وعاش مع الواقع والظروف فى أجواء مختلفة ويعتبر الإنسان الوحيد الذى ينشد السعادة ويظفر بها فى نحو من الأنحاء وهو الذى يهبه الله بعد صبر ومران طويل موهبة الشعور والإحساس ويعود فيطلب الخلود ويسمو إليه بواسطة الفكر والفن أو بواسطة الإلهام والعقيدة والإيحاء النفسى لأن الحياة أكبر مدرسة فى الوجود الإنسانى ، وهى التى تحوى عموم الفنون الحيوية العامة ، ومن لم تعلمه المدارس فإن الحياة أكبر معلم وأكبر مرشد لكل إنسان يرغب الحياة لأجل الحياة والخلود معاً ، وقد جاء

فى المثل : « من لم يربه أهله يربه الزمان » وهذا مثل ينطبق تماما مع الواقع والتفكير الصحيح وكثيرا ما شاهدنا أناسا ممن قذفت بهم الحياة إلى أعماق إهمالها وقد أصبحوا تقريبا رمماً بالية لا قيمة لها فى الوجود الإنسانى وسرعان ماعاركوا زمنهم بشتى الطرق والوسائل وصبروا على مضض حتى بسمت لهم الحياة ودبت فى عروقهم وأصبحوا من أبنائها البررة حتى كانوا سادة الدنيا وأقطاب الزمان فقبضوا على صولجان المجد وتربعوا على أريكة النضال والفخار وهاهم اليوم يشار إليهم ببنان التقدير والإعجاب وببنان الحب والأمل .

ونحن إذا أردنا أن نكون من أبناء الحياة الذين وهبتهم خيرها وبسطت لهم أجنحتها يجب أن نبسم للحياة ونتصاع للظروف ولا نيأس ، ونصبر على الرزايا والأوصاب حتى نظفر فى النهاية بما قدر لنا أن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ؛ فى الوقت ذاته يجب أن نتفاءل ونتوسم الخير ونطلبه بقدر ما أوتينا من جهد كما جاء فى كتاب الله العزيز : « ولا تيأسوا من رحمة الله » فإذا ماسرنا على سنن الشريعة السمحاء وآثرنا الفضيلة والكمال لاشك أننا سنظفر بالخير ونحفل ، ويحفل بنا وعندئذ ننتظر الخلود المنشود .

دمعة على الشباب . . .

قال المتنبي :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى   مسودة ولماء وجهى رونق
حذراً عليا قبل يوم فراقه   حتى لكدت بماء جفنى أغرق

آه ، ما أخمل الشباب وأخملنا لقد ضاع الشباب وضيعنا ! !
لقد همدت تلك الشعلة المتقدة من نور الحياة ونارها ، وتلاشت تلك الأمانى العظام ، وتوارت تلك الأرواح الطاهرة التى كنا نشتم منها عبير الحياة ، ونتذوق طعم السعادة ونعرف معنى الطهر والعفاف والشمم والاباء .

الشباب ربيع الحياة وصفوة أيامها ، والشباب زينة العمر ومهرجان الوجود وهو عماد الأمة ورمز أمانيها وسلم مستقبلها ، فأين الشباب ؟

أين الشباب الطامح الذى ملأ الدنيا شعوراً وأملا ، وأفاض على الأمة ألواناً من ذلك الشعور والإيمان الصادقين ؟ !

أين ذلك الشباب الذى امتلأت نفسه غراما بالحياة ، وابتسم للدنيا ، ولم يحفل بالكوارث والخطوب ، وتغلب على الصعاب وتصدى للنوائب والأرزاء ؟ !

أين هو اليوم من هـذه الرمم البـالية التى تطامنت للذل والصغار واستسلمت للواقع دون السعى وراء الصالح الأصلح ؟

شباب قنع لا خير فيهم   وبورك فى الشباب الطامحينا

أليس الشباب غنياً بمادة الحياة ونعمتها ؟ أليس الشبـاب مزهوا بصولته ، ومفتونا بعزته ؟ بل أليس الشبـاب وصيا على الأمة يناضل عن كيانها وينافح عن حقوقها ؟ وأليس الشباب قويا بنضرة صبـاه ، عزيزا بمزاياه وعزته النفسية ، سعيـداً بمركزه فى الحياة ؟؟

أليس فى عهد الشباب تشرق الآمال ، وتفيض العواطف ، ويعتز جانب الحق والصراحة ، والحب والجمال ؟؟

كل هذه خلال سامية أعطيت للشباب فى عصر الشباب ، ويحق للمتنبي أن يبكيه ، ويحذر قبل يوم فراقه ، ومن ذا الذى لا يبكى على الشباب وعلى أيامه النضرة ومن ذا الذى لا يتأسف ويتحسر على عهد الشباب وأحلامه وأمانيه ؟؟ حتى الشيخ لا يفتأ يذكر أيام الشباب ويتغنى بمجده ووحى لياليه .

فالشباب حين يستسلم للواقع ظـالم ممقوت ، وحين يتطامن للصغار يبقى مهلهلا ويتدحرج مجده إلى الحضيض ، لأن للشباب مجداً عريضا ، وقمة علياء يقطنها لا يمكن أن يصل إليها أحد سواه وحرام على الشباب أن يدعس تلك النعمة وإن ينزع تلك الثقة من نفسه ويعيش عالة على الحيـاة يتسكع تسكع الحشرات بين حشائش الأدغال .

إن الشباب لم يخلق للخنوع ، ولكنه خلق للكفاح والنضال والصبر على الأرزاء ومواجهة الخطوب ، ولم يخلق للأنوثة ولكنه خلق للرجولة ليكسب الفضيلة والكمال فى ميدان التضحية والأمل ؛ ولأن يحلق فى أجواء كلها أمل ونور .

وللشباب ثقة غالية فى توجيه الأمة وأبناء الجيل الناشئين حتى إذا ما زالت تلك الثقة ، زال معها الشباب واضمحلت الأمة،وإن أول شى يجب أن يحافظ عليه هو تلك الثقة ، وذلك النفس العالى الصاعد من أعماق الشباب . فعلى هذا الأساس ، وعلى هذه الاعتبارات يجب أن يفهم الشباب الحديث مدى التطورات والحوادث التى تمر على الفرد والجماعات ، وإن يصمد كل شاب لقوارع الدهر ويبتسم للحياة ، ويتخذ كل حيلولة لإبعاد شبح البؤس والشقاء ويملأ الدنيا شعورا وحبا بالحياة .

حرروا أفكاركم من المجاملات

لا أجد شيئاً أضر بالإنسانية وقذف بها إلى مهاو سحيقة أكثر من المجاملات المعمول بها فى عصرنا الحاضر ، فقد كانت المجاملة فى العصور الغابرة تنطوى على الفضيلة وحسن الخلق والوقوف عند مبدأ سام شريف ، والتخلص من المآزق الحرجة بأسلوب جميل يستهوى كل إنسان .

أما اليوم فقد تطورت الأحوال ، وانعكس ضوء الشمس وتهلهل دستور الحياة وأصبحت المجاملة خطراً داهما على الأفراد والجماعات لأنها تتنافى مع مبدأ الصدق والصراحة والوفاء ، وتقضى على الأخلاق الفاضلة ، وتعكر صفو الحياة وتبعث البغض والشحناء فى قلوب الناس .

هذه حقيقة واقعية لمسناها فى كثير من المناسبات ووقفنا عليها بالذات وعرفنا مدى ما وصلت إليه هذه المجاملة الزائفة من وسائل الهدم والتنكيل والتزلف .

وما دام الحال كذلك ، فلماذا لا نكون صرحاء وندود عن كرامتنا ونوحد أفكارنا وآراءنا على أساس مبدأ صادق صحيح هو الصدق ، وننظر إلى الحياة بمنظار الذوق والشعور النبيل ؟!

لماذا لا نتكاشف ونجاهر بالحقائق الراسخة فى أعماق الحياة ونقذف بالأباطيل والترهات ونسير على نهج الحجى وصراحة الوجدان ؟ ! .

لماذا لا نقف عند حدود الحياة ونتذرع بالتسامح أمام منطق الحياة وحقائق الواقع ونرضى ضمائرنا ونصفى حساباتنا مع كل كبير وصغير ولا نجعل للمجاملات الزائفة سبيلا إلينا ونبث فى روح الصغير منا روح الجد والإخلاص والمغامرة والإقدام على أساس الوفاء والصراحة ؟ ! .

لماذا هذا الانكماش ، وهذا الذل والهوان الذى بعثته إلينا المجاملات التى أثقلت كواهلنا به إلى أن أصبحنا جبناء لا حول لنا ولا شأن بسبب انكماشنا وتباطئنا للأمور إلى أن خدعنا أنفسنا ونزعنا الثقة من بعضنا وحكمنا العواطف فينا حكما ينبذه الدين ويمقته الفكر الثاقب ؟ !

أواه ، لقد سئمنا لغة المخادعة ، وعفنا حياة الهلهلة والجرى وراء السراديب فكثيراً ما جاملنا وكذبنا . وكثيراً ما عملنا على حساب المجاملة وضحينا فى سبيلها حتى ساءت الحال وأوشكت حياتنا أن تذهب هباء منثورا .

إن حياتنا اليوم تتركز على المجاملة أكثر من سواها ، ومنها تفرعت المداهنات ، وساد الكيد والدس حتى كادت المجاملة تكون غريزة فى نفوس أبناء الجيل ، وليتها مجاملة تقتصر على توافه

الأمور ولا تؤثر فى مجرى الحياة العامة ، بالعكس فإنها تجرى فى صميم الحياة وتفت فى عضد الأمة إلى أن تهدد كيانها وتقضى على الأخلاق بشكل يسترعى النظر والانتباه .

ونستطيع والحالة هذه أن نضرب أمثالا لهذه المجاملة الجامحة التى فتكت فى حياة الأفراد فتكا ذريعا وجعلت كل فرد يتمسك بها ويتعلق بأذيالها .

فالمثال الأول وهو ضد الصدق والوفاء ، فقد يحتاج أحد الناس إلى معونة من صديقه أو من أحد معارفه الأثرياء طبعاً فيتقدم بطلبه فيجاب بالقبول ويضرب له وعد صادق وسرعان ما يولى صاحبنا المحتاج حتى لم يكن ثمة قبول أو وعد ، ويزعم هذا أنه جامله لأن كلمة « نعم » خير من كلمة « لا » فيبيت ذلك المحتاج على أمل ، وإذا بالأمل يخيب ويظل فى وعد مع صاحبه حتى يعذبه الملل واليأس وهذه حقيقة ناصعة لا غبار عليها ، وماذا كان يضير صاحبنا الثرى لو اعتذر إليه فى بادىء الأمر كيلا يعلق ذلك المسكين أمله فى الهواء إلى أن يتبدد ويتلاشى ، وإلى أن يضيق ذرعا بالوجود الفانى وأبناء الحياة الغانين ولكن هى المجاملة التى لعبت دورها وجعلت صاحبنا يتألم ويتقطع فؤاده حسرة وأسفاً .

والمثال الثانى . قد يدعو الصديق صديقه ، أو المرؤوس رئيسه إلى تناول طعام الغذاء أو العشاء ، ويأخذ منه وعداً صادقا على الوفاء ، ولا تمض برهة من الزمن حتى تأخذ صاحبنا المدعو

الغطرسة والغرور فيتمتم لنفسه أو لأحد أنصاره الإخصائيين بأن هذا قد صدعني بهذه الدعوة ويريد أن يثقل كاهلي بها ولم أجد سوى أن ألبي طلبه مجاملة مني على أن أعتـذر إليه مستقبلا ؛ ويكون صاحبنا الغافل قد تـكلف الشيء الـكثير إلى أن يفشل ويستاء من هذه المعاملة السيئة التي يستهجنها الدين ويمجها ، لأن الدين المعاملة ، ولو لم تـكن المجاملة تلعب بالعقول المبتورة لما كان هذا الفشل المزرى ولما كان هذا الاحتقار الذي يلاقيه أمثال صاحبنا الداعى ، فهل يتفق المبدأ مع الدين الإسلامى ، والشرف والفضيلة والـكمال ؟؟! لا أظن ؟ إذا تلك هى جناية المجاملة علينا وعلى الأجيال المقبلة إذا لم نكافحها من الآن ونقضى عليها قضاء مبرما .

والأمثال مثلها فى المجاملة كثيرة جداً ؛ ولو أردنا لأتينا بالشيء الـكثير ، ولـكننا آثرنا الاقتضاب حباً فى عدم التطويل والشرح .

فـكم جلبت لنـا من المصائب تلك المجاملات ، والعبارات الحارة ، والألفاظ المعسولة التى تنم عن دس وكيد ومكر وخداع ، وكل هذا واقع وملموس ما دامت المجاملة تلعب دورها فى الحياة . وما دام لها أنصار ومحبون .

ويجب أن لا ننس تلك المجاملة التى نسميها « مجابرة » على حد تعبير بعض الناس تلك التى لا تؤثر على عواطف الناس ، ولا تمس الدين بشيء ، ولا تخل بناموس الحياة كما هو شأن المجاملة التى ضربنا لها الأمثال وتحـدثنا طويلا عنها تلك التى يعتنقها الإنسان الأفن

المستخس ، والوغد الذى فقد الإحساس وظن أنه بلغ من الكمال شيئا وهو أبعد ما يكون عن الفضيلة والكمال .

وإننا نهيب بشبابنا المتعلم المثقف أن يتمسك بالأخلاق الفاضلة ، ويسير على مبدأ الدين الإسلامى الحنيف وأن لا يتقيد بتقاليد البلاد السخيفة كالمجاملة التى لم تجن سوى الويل والصغار وعليهم تحرير أفكارهم ومحاربة هذه الآفة الجامحة بقدر ما أوتوا من علم وذكاء ونبوغ .

فيا أيها الشباب المثقف ! حرروا أفكاركم من المجاملات وحطموا تلك السلاسل والأغلال ، والقيود الثقيلة ، والتقاليد العاتية السحيقة ولتعلموا أن هذا عصر النبوغ والعبقرية ، وعصر الذرة والحركة وعصر الإيمان بالواقع الصحيح والتفكير فيما ينفع لا فيما يدفع .

فإنكم أنتم أيها الشباب عماد الحيوية والنشاط فى أمتكم العزيزة .

أيها الأدباء .. عودا إلى الأدب

... قبل أن نتبسط فى الحديث يجب أن نفهم فهما جيداً بأن كل حركة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية لا يمكن أن تنال نصيبها من النجاح مالم تكن ثمة حركة فكرية يكون محورها الأدب، ولما كانت أغلب البحوث التى تفيض بها الصحف والمجلات والجرائد الخارجية تتضمن إبحاثا عن تاريخ النهضة الفكرية لاسيما وقد أخذ الناس فى كل زمان ومكان يتذوقون لذائذ الأدب وطعم الفنون الأدبية وقد أقر منطق الحياة وعلماء النفس والاجتماع بأن الأدب هو الآلة الجوهرية للتوجيه القومى والثقافة العامة، والأدباء هم قادة الشعوب الذين يفسحون لها آفاق الحياة ويحملون مشاعل النور والهدى .

فالأدب هو مرآة الأمة ورمز نهضتها ومعيار مجدها والأدب هو الذى يصلح من شأن الناس ويزيح كل فوضى ؛ ويقضى على كل جهل ، والأدباء هم الذين يعملون على إصلاح كل فساد وتنازع بواسطة الفكر والأدب وهم الذين يرسمون الأمانى الوطنية ؛ ويحددون المبادىء القومية بقوة الفكر وغزارة المادة وصدق الشعور .

فلولا الأدب لما تألقت شموس الحضارة . ولما سن نظام الكون

ودستور الحياة لأن الأدب قبس من نور الدين ، ولولا الدين لما كان للوجود قيمة .

ولولا الأدب لما ظهر جمال الزهور وشذاها ، ولما برزت عظمة الطبيعة التى تصور لنا جمال الكون وقدرة الخالق العظيم .

ولولا الأدب لما استطعنا أن نستمتع بألحان البلابل وتغريد الطيور ، ولما راقنا خرير الماء وهمس الجداول ، ومناجاة القمر فى لياليه البدرية .

ولولا الأدب لما عرفنا كنه الوجود وأسرار الحياة الغامضة

ولولا شعاع النور الفكرى لما استضاء العالم ، ولما ظهر عصر الذرة والشعاع ويكفى أن تاريخ النهضة الفكرية فى الشرق العربى يحدثنا عن أولئك النوابغ الأفذاذ الذين أفنوا حياتهم فى سبيل الحرية والحق والجمال ، وفى سبيل المجد الأدبى الخالد والثقافة العربية النادرة التى استمد الغرب منها كثيراً من أفكاره وأمانيه أمثال إمرؤ القيس والنابغة ، والمتنبى وابن الرومى والبحترى وأبو العلاء الخ كما يحدثنا تاريخ النهضة الفكرية فى الغرب عن أساطين الأدب وأقطاب الفلسفة وفحول الشعر أمثال موليير وبايرون وجيته ونيتشه وشو بنهور وهيجو وشكسبير الخ ، هؤلاء الذين أدوا رسالتهم إلى عالمهم الخالد وناضلوا فى سبيل مجد الفن حتى بلغت أوربا غايتها فى المدنية والحضارة وعاشت وما زالت تعيش على أكتاف الأدب والأدباء مدى أيام الحياة .

وبهذا يتحتم علينا أن نحمل راية الأدب ونؤدى رسالتنا ونعزز مواقفنا فى ميدان الفكر حتى نقطع حلقة الرهان فائزين .

لمـــــاذا ؟

أحمد إبراهيم الغزاوى :

لماذا يحجم شاعر البلاط الملكى الأستاذ الكبير أحمد إبراهيم الغزاوى عن مشاركة زملائه . من الشعراء فى اقتحام ميادين الأدب الحى والتفكير الحر الذى سبقه فيه من وجدوا بعده ، وأصبحوا يحملون — دونه — مشعل الأدب الممتاز فى مواضيع النقد الفنى والاجتماعى وتوجيه ملكات الشباب ونزعاتهم الفنية إلى نواح مشرقة بينما هو رجل عظيم لا يقل عن أولئك الشعراء الممتازين ديباجة وسبكا وأداء ، وعمقاً وتأثيرا حتى أصبحت الناشئة تعده شاعراً أسلوبياً فقط لا يملك من وسائل الشعر إلا اللغة وأسلوبها — فهل هو محقق ظننا فى مقدرته على مسايرة الركب فى قافلة الحياة الفكرية ؟ نرجو ذلك .

عبد الوهاب إبراهيم آشى :

ولماذا اعتزل الأستاذ عبد الوهاب آشى عالم الأدب وقبع فى برجه العاجى وراء ديوان من دواوين وزارة المالية ينفق فيه حياته من المذكرات الرسمية والقرارات والجداول مع أنه من أدباء

الطليعة ولا يزال معدوداً من الأدباء الكبار المنتجين الناهضين وإن عالم الأدب لأحوج إليه من عالم الوظائف .

فهل يحقق ظننا الأستاذ ويساير ركب الحياة في هذا الظرف الذي لم يظهر فيه سوى ثلة من أولئك الذين قالوا إنهم أدباء حتى عبثوا بالأدب وطوحوا بالأدباء لا سيما وأن الزمن في حاجة قصوى إلى الأستاذ الآشي الذي غذى الحركة الأدبية في إبان نشأتها فما باله اليوم يدعها تتخبط في ديجور من ظلام قاتم ؟ إنا لنا فيه عظيم الثقة والأمل .

محمد سعيد العامودي :

لماذا يقتصر الأستاذ محمد سعيد العامودي على أبحاث لا هي بالصحفية ولا هي بالأدبية ، وإنما هي كلام بين (بين) يهمس به في مجلة المنهل في غير إفصاح ولا إقناع مع أنه رجل عظيم له ماض ذهبي في تاريخ الأدب الحجازي فهو من أدباء الرعيل الأول الذين نشأوا مع الأستاذ الكبير محمد سرور الصبان وهم بالدقة محمد سرور ، حسن عواد ، سعيد العامودي ، عمر عرب عبدالوهاب آشي ، أحمد الغزاوي ، عبدالله فدا ، محمد بياري الخ .

ثم لماذا يستبدل الأستاذ العامودي بلقبه الأصلي وهو (العمدي) لقباً عاميا لاتقره اللغة ولا يقره واقع التسمية التي ينتسب فيها الأستاذ الأديب إلى طائفة العاودة من الحضارم وهي كلمة (العامودي) وإن كلمة الفصل بيننا وبينه في هذا الموضوع هي اللغة والتاريخ .

أحمد السباعي :

لماذا يختار الأستاذ أحمد السباعي في أواخر أيامه أن يعرض نفسه لضجة المطوفين وهو منهم وابن أبيهم ومن حملة رفشهم ومن يتبعهم ؟ ولماذا لا يكتب في مواضيع ألصق من هذه بالحياة والأدب وهو من السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ومع هذا فلم نر له مؤلفا أدبيا غير كتابه المدرسي (سلم القراءة)[1] فهل آل الأستاذ السباعي على نفسه أن لا يخاطب إلا الصبيان والمطوفين وهما طبقتان — مع احترامنا لهما — لا يصلحان لأن يجعلهما أديب وسط دينه وهجيراه ؟

عبدالعزيز ضياء الدين :

لماذا بدل السيد عبد العزيز ضياء الدين اسمه هذا وفيه اسم من أسماء الله الحسنى وفيه شرف الانتساب بالعبودية إلى الله عز وجل ، كما أن فيه طابعا إسلاميا يدل على أن والده أو جده أو مربيه صاحب هذا اللقب المبارك رجل يحمل في قلبه حب الدين والإيمان الصادق ، فجاء عبد العزيز وأهمل هذه الأسماء الطيبة واختصرها إلى اسم مركب من كلمتين ضعيفتين هما (عزيز ضيا) وهو اسم مجرد من شرفه القديم على أنه كان معروفا باسمه الأول من قبل ربع قرن من الزمن أو يزيد عندما

---

(١) كتب هذا المقال قبل أن يصدر الأستاذ كتابه (فكره) .

كنا تلاميذ فى عام ١٣٣٨ فى كتاب المرحوم (الشيخ محمد بن سالم) المشهور فى المدينة المنورة، وطالما كتب الشيخ عبد العزيز ضياء الدين عدة مقالات فيها روح الدين ونشرها باسمه الأصلى فى جريدة صوت الحجاز التى لا تزال أعدادها محفوظة فى مكتبة جريدة البلاد السعودية وفى غيرها.

الثالوث الأدبى

بمناسبة صدور كتاب (الشعراء الثلاثة)

أن من طرائف الصدف فى تاريخ الشعر أن الثالوث الأدبى هو الذى يسود كل عصر من عصور الشعر فنرى أن كل عصر لم يتفوق فيه أكثر من ثلاثة رفعوا لواء الزعامة وقادوا غيرهم إلى ظله الممتد . فهذا عصر الجاهلية لم يعتز فيه من أصحاب المعلقات السبعة وهم أعظم شعراء ذلك العصر — إلا امرىء القيس ، وزهير ، والنابغة وهذا عصر الأمويين تفرد فيه بزعامة الشعر جرير والأخطل والفرزدق .

وجاء بعده العصر العباسى الأول فكان ثلاثته المختارون بشارا وأبا نواس وحماد عجرد وتلاه العصر العباسى الثانى فكان ثلاثته المفضلين ابن الرومى والبحترى وأبا تمام . ثم انساق الزمن قليلا فأبرز المتنبي وأبا فراس — وأبا العلاء — وفى عصر حضارة الأندلس الزاهرة كان أيضا يسيطر على عالم الشعر ثلاثة مختارون وهم ابن هانئ الأندلسى (متنبي الغرب) ولسان الدين بن الخطيب وأبو الوليد بن زيدون .

فإذا انتقلنا من الزمان إلى المكان وجدنا أن شعراء مصر

(٤)

المتفوقين هم الثلاثة المعروفون شوقى وحافظ ومطران — وشعراء العراق هم الزهاوى والرصافى والشبيبى — وشعراء سوريا ولبنان هم بشارة الخورى وميخائيل نعيمه وعمر أبو ريشة — وشعراء الحجاز فى العصر السعودى الزاهر هم العواد وشحاتة وقنديل .

فأينما ذهبت ببصرك فى اختيار العدد المفضل من الشعراء الممتازين تجده هو عدد الثلاثة فحسب .

ونحن لم نسجل اختيارنا على أساس هذه الظاهرة ، ولكننا عرضنا لذكرها على سبيل الاستئناس وبيان المصادفة المعروفة .

على أن الشعراء الثلاثة الذين اخترت التأليف عنهم قد كونوا مدرسة التجديد فى طول البلاد وعرضها وأخذوا فى زعامتها نصيب الأسد ومحل الشمس وذلك هو قصدى من تأليف ذلك الكتاب الذى خصصته عن شعر هؤلاء العمالقة الحجازيين فى عالم الشعر . وإنى لأشعر فى أعماق نفسى أن كل أديب فى المملكة العربية السعودية قد وضع يده على ما وضعت يدى عليه من هذه الفكرة التى يكاد أن يفقد لها المخالفون .

أدب الفضـــيلة

أيها الأديب الشاب !

إذا لم تكن الأخلاق السامية دثارك ، والفضيلة شعارك فعبثا تحاول أن تسود ! !

إذا لم يكن لك رادع من نفسك ، وإذا لم تخلع عنك ثوب الغطرسة والغرور فلماذا تتهيأ للعلا وترنو إلى المجد ؟ ؟

فالنبوغ والعبقرية والذكاء . كلها تتلاشى .

إذا لم يكن أول مزاياك حسن الخلق ، إذا لم يكن من دأبك الإخلاص والتضحية فى سبيل الواجب ، فأنت فى ذيل المجتمع وفى ظلام الحياة .

أيها الأديب الشاب !

إن دعامة الأخلاق هى المبدأ ، والشعور بالقومية والواجب هو عنوان الشرف ، ورمز الفضيلة ، ومعيار الكمال . فدع التقعر جانبا وتنح عن الكبر تدرك الضالة وتبلغ القصد .

كن متخلقا قبل أن تكون أديبا !

فليس الأدب شيئا . وإنما الأخلاق هى كل شىء ! !

هى السعادة ، هى النجاح ، هى المجد ، هى الخلود ! ! !

كن مستقيما فى تفكيرك ، نصيرا لمبدئك ، متفائلا طروبا .

كن مثالا للرجولة الحقة ، والوفاء الصادق ، وكن صريحا فى أدبك ، ساميا فى خلقك ، ووديعا فى ذاتك باشا — ولا تكن مغرورا ، فلقد نبذت الحياة المغرورين فقذفت بهم إلى فلاة إهمالها يتطاير كيانهم مع الريح .

وليس الأدب هو النثر والشعر فحسب ! وليس هذا ما نريده ونبتغيه فى مستهل نهضتنا الأدبية ، ونزعتنا العلمية .

الأدب . هو أدب النفس ، أدب الفضيلة أدب الشعور بالقومية وتوجيهها فى شخصيات النشء ، والالتفات للواجب الإنسانى والدعوة إليه . وحرىّ بمن وهب هذه المواهب وعض عليها بنواجذه أن يسمى أديبا يسوغ له بحق التربع على منصة الأدب والافتخار بوسامه والمثل فى هذا قائم فى كتاب (خواطر مصرحة) للأديب الأستاذ العواد ، والحقيقة أن الحجاز لم يشعر فى أعماقه بأدب فعال ملموس قبل ظهور هذا الكتاب الخالد .

أما الذى يكتب وينظم فقط فهذا لايسمى إلاواضعا أوناظما ، والواضع أو الناظم لا يساويان شيئا بجانب الأديب الذى حق له الاتصاف باسم الأدب ، ولطالما رأينا من الكتاب والشعراء من لا قيمة لهم فى نظر الإنسانية جمعاء لضعف نفوسهم وانحطاط أخلاقهم .

فيا أيها الأديب الشاب !

تنح عن الكتابة والشعر قليلا، واترك هذه الحرفة التي أودت بك إلى الحضيض وارتقب اليوم الذي يصعد فيه أدبك إلى أجواء الفضيلة إن كنت لا تحسها الآن .

وسترى بعدئذ !!

سترى أنك تعيش من الإنسانية فى صميمها ، ومن الأدب فى حقيقته ، ومن السعادة فى دستها ، ومن الحياة فى أجمل أوضاعها . . .

نريد شبابا[1]

غريب جداً هذا العنوان . وباعث للدهشة والغرابة إلى أقصى حد ، وأني لحريص على إزالة هذه الغرابة وهاته الدهشة ، فإنا لا نريد بالشباب هؤلاء الذين تكتظ بهم الشوارع والأسواق ، والمتسكعين بين الأزقة والحوانيت تسكع الحشرات بين حشائش الأدغال ، وإنما نريد شباباً حيا عاقلا فزازا يتجه إلى الحق والنبل .

نريد شبابا عاملا صالحاً للحياة لأجل الحياة .

نريد شبابا حراً يحارب الوهم والخيال ، ويسحق الأباطيل والترهات ويسعى للحقائق الراسخة فى أعماق الحياة ، ويعمل لما فيه سعادة الوطن وعزه وارتقائه .

نريد شبابا يمثل الرجولة الكاملة ، لا شبابا هينا لينا يمثل الأنوثة بترصيف الشعر وتعطير الجسم ، وبودرة الوجه تشبهاً بالنساء .

نريد شبابا راقياً مثقفا ، وشبابا حراً مفكرا يغار على سمعة الوطن ويضحى النفس والنفيس فى سبيل إعلاء شأنه بالعمل الحر المنتج ، ولا يرى غضاضة أن يعمل فى أى لون من ألوان العمل مع تكريس أوقاته فيه وتهالكه عليه .

---

(١) صوت الحجاز ع ٤٠٥ — ١٣٥٨ هـ

نريد شبابا متأدبا أدبا حقيقيا لا أدبا صوريا زائفا .

نريد شبابا عصامياً قوى الشكيمة رابط الجأش ، موفور الكرامة . لا شبابا خاملا تلتهمه العطلة ويفتك فيه الفراغ .

نريد شبابا حياً مغامرا ، وشبابا ناهضا متوثبا ــ لا شبابا ميتا ضرب الكسل أطنابه عليه فهوى فى حضيض الذل والهوان .

ونريد شبابا متخلقا بالخلق الكامل ، شاعرا بالحياة وواجباتها ، يقبض على زمام الأمور فى المستقبل الزاهر لا ذلك الشباب المتقعر الذى يحلم بالمنصب وهو فى بدء حياته ــ ولا ذلك الذى عشق البطالة والفراغ وراح يتخبط فى دياجيرهما القاتمة كأنه لم يتصفح قول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسدة

ولسنا نريد بالشباب هذا الصنف المتقاعس الذى دينه وديدنه الشهرة الزائفة ، والظهور الأجوف ، والحياة على حساب الفوضى والمشاغبات بداعى الأدب الذى يتصورونه ملهاة وتزجية فراغ .

نريد بالشباب ذلك الرهط الحى المتوثب ، فأين ذلك من هذا الشباب الممقوت ؟ !

أين الشباب الذى به تتألق الآمال ، ويستفز الشعور من هذا الشباب الهمل الوضيع ؟ ؟

أين هو ؟

أخلق ، أم لم يخلق بعد ؟ ؟

وأكبر ظنى أنه خلق . بيد أنه ما زال عابراً بحر الحياة تتقاذفه بعض أمواجه الزاخرة حتى إذا ما هدأ بعد هنيهة من الزمن وصل إلى الشاطىء ظافراً منصورا ومن ثم حلق فى أجواز الفضاء وبلغ رسالة الأمة .

هذا الشباب الحى موجود فى البلاد ، محتل مكانته فى المجتمع إلا أن أوضاع البيئة التى يعيش فيها هى أوضاع مطبوعة بطابع ذلك الشباب القديم الذى خلق قبل أن يبزغ فجر الثقافة فسار فى ظلام من ليل بهيم . وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى نرى الليل صبحاً منيرا ، والغمام شمساً مشرقة .

غرور الشـــباب[1]

يتناول غرور الشباب طائفة من الأفكار ، ولكل فكرة موضوع خاص ، ولكن لضيق الوقت وعدم اتساع المجال لذلك يحسن بنا أن نقتضب الموضوع اقتضاباً موجزاً ونكتفى بالإشارة والتلميح إلى تلك النقاط متوخين فى ذلك حسن القصد ونبل الغاية .

ومما يؤسف له حقاً أن نرى هذا الغرور أجوف خالياً لا يمت إلى القوة والعظمة بشىء ما . . ، ولا يتلاءم مع الاعتداد والاعتزاز فنرى البعض يغتر بنفسه لما له من وجاهة أو سماحة ، فنقوم بمناصرة هؤلاء وتعزيز آرائهم ، وتأييد مقترحاتهم لما فى ذلك من شرف وشمم وإباء لأن من الغرور ما هو مقبول ومنه ما هو مستهجن . بينما نتغاضى عن البعض الذين يغترون بنفوسهم لما بلغوا أيضاً من المعارف والمجد والعزة والسلطان تغاضياً لا يؤثر على حالتهم ، أو بمجد عريق غير مستحسن بصاحبه أن يتهاون به .

فالأكثرية الساحقة من شبابنا اليوم نراهم فى كبر وغطرسة وغرور فى كل حالاتهم . الأمر الذى يستوجب الغرابة إلى أبعد حد ، والأمر الذى جعلهم فى معزل عن كبار الأمة ، ورجالاتها

---

(١) صوت الحجاز ع ٣٧٦ — ١٣٥٨ هـ .

الأفذاذ . إلى حد أصبحوا فيه أعجوبة العجائب وأضحوكة المجالس وفى ذلك ما فيه من ضروب السخر والاستهتار والمقت .

فالشباب النزق متى استطاع الكتابة وحفظ بعض عبارات من الكتب والجرائد جاء رافع الرأس شامخ الأنف يملأ الجو صراخاً وعويلا كأنما انقلب فى الحال فيلسوفاً أو مصلحاً اجتماعيا، أو أديباً كبيرا أو محامياً أو طبيباً ، أو شيئاً ذا قيمة وخطر فتراه يجيء ويذهب ، ويقوم ويقعد ، ويزعج الناس بالدعوى وحب الظهور — فيصول ويزمجر إذ ذاك على حساب تلك العبارات المعسولة ، أو تلك القطع الشعرية المنتقاة من بعض الدواوين زاعما أنه من أحرار المفكرين ، أو من أساطين الأدب الرفيع فينهر زيدا ويشتم عمرا ، ويتصنع الألفاظ والجمل فى الكلام بما تنطوى عليه نفسه الفياضة بمعانى الغطرسة والغرور دون معرفة ، ودون إتيان بشيء صحيح يسمى أدبا أو نقـــدا أدبيا سوى تلك المحفوظات التى حفظها عن ظهر قلب ، وفى هذا — طبعا — منتهى الغباوة والجهل المطبق ، والغرور المستحكم فى تلك الأدمغة الجوفاء، وياليته غرور يحمد عليه ويسفر عن نتيجة ، أو يمت إلى فضيلة أو علم يبرر الموقف ويستوجب التسامح !!!

فإذا أحرجت هذا الشاب المغرور بسؤال بسيط بالنسبة لما هو فيه نجده يتلكع ويتسكع وينظر إلى السائل نظرة الجبن والعجز إلى أن يتمخض عن جواب ينطبق عليه تماما ، وهو قوله :

ـ إن هذا السؤال سخيف وأسخف منه الجواب ـ عليه ـ ولا يلبث حتى يبارح المكان مدللا على هزيمته ، وأن هذا النوع من الغرور ليسمى غرورا أجوف لا قيمة له عند الشباب الذين وهبوا مواهب الإحساس ، والشعور الصادق ، فيصبون على صاحبنا إذ ذاك نيران النقد المحرقة ، ويتناولونه بقوارص الألفاظ ولواذعها إلى أن تتكشف للملأ ضلالاته فينهزم شر هزيمة كما حصل ذلك فى كثير من الحالات .

وبعض من الشباب يغمرهم ، وإن شئت فقل يلبسهم الغرور من قم رؤوسهم إلى أخامص أقدامهم ، وهم الذين يرون أنفسهم فوق ما هى عليه ، إما لوجاهة أو لوساطة يعتدون بسلطانها إلى أن يخيل إلى هذا الشباب أنه وصل إلى عنان السماء فيتيه إذ ذاك عجبا ودلالا ، ولا يدرى أن هذا المبدأ يهوى به إلى مهاوى الذل والهوان ، ويكون عرضة لمقت الرأى العام ، وهذا النوع من الشباب قد عرفهم القاصى والدانى فى هذه البلاد حتى إذا ما عرفت أحدهم وعثرت به وأردت مصافحته بقصد السلام والتحية أعرض واكتفى بالإشارة على رأسه فرارا من الميكروب الذى يخيله إليه غروره . . .

ويسألونك عن الأدباء فى الحجاز

قرأت فى مجله المكشوف البيروتية مقالين للأدب الحجازى الشاب — أحمد خليـــل عبد الجبار — أحدهما بعنوان : (يسألونك عن الأدب فى الحجاز) والآخر بعنوان : (الترجمة صلة الوصل بين الغرب والحجاز) واستعرض الأديب فى مقاله الأول بعض أدباء الحجاز كالغزاوى وشحاته وعواد وفؤاد شاكر وعمر عرب وطاب من « بعضهم » أن يكونوا شعراء معاصرين بدلا من أن يكونوا ظرفيين ، وهـذه فى الواقع دعوة حسنة نود أن تكون الاستجابة إليها غـريزة فى كل شعرائنا البارزين ، والحق أنه لم يأت بغير الحقيقة غير أنه أخطأ فيما ادعاه عن الشاعرين شحاته وعواد من أنهما يزاولان شعر الهجاء فيما بينهما مع العلم أنهمـا ملآ أعمـدة الجرائد والصحف الحجازية إنتاجا له أثره المحمود فى عالم الشعر الحى والنثر الحى ترسلا وبحثا ودعوة إلى شتى مناحى الحيوية .

أما الـكاتب فلم يدفعه إلى كتابة هذين المقـالين إلا الغـيرة والإخلاص لوطنه لأنه يلتهب حماسة وشعورا بالوطنية المتأججة

---

(١) صوت الحجاز ع ٣١٥ — ١٣٥٩ هـ .

فى أعماق نفسه نظرا لما شاهده فى الاصقاع اللبنانية من ازدهار الأدب وانتعاش الروح الشعرى فقام يتألم لوطنه ويحن إليه حنين الظمآن إلى الماء، ويستحث هم الأدباء ويستفز شعورهم ليتلافوا ما فات ويوحدوا نظرتهم إلى الحياة .

ونراه فى المقال الثانى يدعم حبه لوطنه الغالى ومليكه المفدى وألبس الحقيقة ثوبا من الصدق والوفاء ، أما تلك الهفوة السالفة الذكر فقد يكون منشؤها الرواة الذين يقلبون الحق باطلا والباطل حقا أو الشهرة اللامعة التى يتمتع بها العواد وشحاتة فى عالم النقد والهدم والنماذج التى نشرها كل منهما موجهة تارة إلى غيرهما وتارة إلى بعضهما بعضا وهى طريقة مشروعة فى النقد اللاذع وليست من الهجو فى قليل ولا كثير وإلا لما سمحت الصحف بنشرها إذ أن الكاتب المذكور لم يقف على ما نقل إليه بنفسه لبعده عن هذا المحيط . اللهم إلا ما يصل عن طريق البريد وهذا يحتمل الشك واليقين والمبالغة والتهويل الذى يزيف لحقائق .

لقد كنت أرغب أن أتبسط فى الكتابة حول هذين المقالين وأوفيهما حقهما من النقد والتقريظ إنصافا للكاتب ولكنى آثرت التحرى والوقوف على حقيقة أدبائنا فبدلا من أن يكون العنوان: (ويسألونك عن الأدب فى الحجاز) جعلته : — ويسألونك عن الأدباء فى الحجاز — .

ونريد بأدباء الحجاز أولئك الرهط ونحوهم الذين فهموا حقيقة

الأدب وأحسوا بكرامة الفن ، فكتبوا النثر ونظموا الشعر حينا من الزمن فكان لذلك أثر فعال فى عالم الأدب الحجازى ، ولكن سرعان ما تلاشت تلك الحركة إلى أن فوجئنا بكساد سوق الأدب لولا وجود نفر من أدباء الحجاز شمروا عن ساعد الجد وأخذوا فى سبيل العمل وحافظوا على كيان الأدب ، وهاهم لا يزالون حتى الآن يواصلون العمل بكل جد وإخلاص وأعنى بأولئك النفر هم هيئة تحرير هذه الصحيفة على الأقرب وعلى رأسهم الأديبين فؤاد شاكر وحسين عرب وغيرهما من الأدباء العاملين .

فإليكم جميعا أيها الرهط أسوق الحديث :

طال عهد السكوت حتى حسبنا أن هذى الحياة عادت مناما

طال عهد السكوت حتى مللنا وأردنا نكسر الأقلاما

طال سجن اليراع والآن نبغى أن نرى فى فم الزمان ابتساما

هذا قول أحدكم أيها الأدباء ، والواقع أن هذا هو الطرف الذى يستوجب التساءل عن أدباء الحجاز ، ولا أدرى أن مشاغل العمل الخاص تحول دون العمل العام ، فهذا مردود ! فلماذا لا يعتذر الأدباء فى مصر وغيرها من البلدان العربية وهذه أصواتهم ترن فى المحافل والأندية ، والإذاعات اللاسلكية ، ثم هاهى آثارهم تملأ أعمدة الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها، وهم بذلك يقدمون أكبر خدمة لبلادهم فى الوقت الذى هم يحملون على عواتقهم أعمالا هامة تقعدهم بحق عن الكتابة والترجمة والتأليف،

وبالرغم من هـذا كله فهم دائبون ليلا ونهارا لا ينهنهم الزجر ولا يردهم النقد لأنهم يفهمون جيدا أن الحياة الأدبية هى رمز الحضارة وهى سلم النهوض وعنوان نضوج الأمة وتقدمها العلمى والاجتماعى .

فعلى هذا الأساس أعود فأرفع الصوت عاليا وأقول :

أين أدباء الحجاز ؟

فيا أدباء الحجاز ! !

سلوا اليراع قبل كل شيء ، وتعالوا حدثونا ! ! !

حدثونا عن التاريخ الإسلامى وما أنتج من المفاخر والآثار !

حدثونا عن الزراعة وما لها من شأن عظيم لدى الأمم الحية .

حدثونا عن الجندية وشرفها كما حدثنا عنها مواطننا الكبير سعادة – السيد صالح شطا – وكما حدثنا عنها أيضا القائد الباسل – يحي بك طرابلسى – وحدثنا عنها حاليا شاعر الشباب الأديب (حسين عرب) الذى سجل شعوره ومقدرته الفنية بنشيده الذى فاز من بين تسعة عشر نشيدا – هذا الشاب الحديث الذى نرجو له مستقبلا حافلا بالسعادة والأمل .

حدثونا عن الحياة وما فيها من حسن وسيء ، وما تتطلبه من تضحية وإقدام وجرأة وحزم ؟ .

شعر منثور :

ساعة فى روض ..!

أقبلت على الروض وقد لاح الهلال
وهب النسيم البليل ينعش الخيال
وشدا الهزار على الغصون
واسترسل المزن الهتون
حبذا فى الروض صوت العندليب
كمناجاة محب لحبيب
ويترنح الريحان طربا
ويختال تيها وعجبا
أحب ليالى الأنس زاهية فى الرياض
وهمس الجداول وإحداق الزهر المراض
وأخت ماء السماء
مشرقة كالضياء
هناك زهرة الحياة . فاقتطفوها
وباقة الحب النزيه . فاستنشقوها

(فالحسود لا يسود)
والماضى لا يعود
يا صاحبي ! !
قف بالروض لحظة وشاهد خرير الماء
وانظر ما فى الطبيعة من جمال وبهاء
غنى يا صاح غنى
وانظم الأشعار عنى
غن فى الحب غناء الهائمين
أنا فى الوجد أليف المغرمين
بل بأن تنشق نورا ورواء
بل بأن تحرم من هذا الهناء
(ما الحياة بالنعيم)
(ما العذاب بالجحيم)

شعر منثور :

أيها الحب..!

أى بلاء فاتك أنت ؟

وأى خطر أهم يهدد الإنسانية فى كل حين ؟

ومم يتكون شبحك الهائل العظيم وسهامك المسمومة الجهنمية تغرسها فى القلوب فإذا القلوب أسيرة لأحلامك وهواجسك ؟؟

ومن أنت أيها الطاغى على النفوس المطمئنة فتصب عليها نارا وجحيما ؟!

أنت ، أنت الشيطان الصائل على الأحياء فتكون منهم عسكرا وجنودا !!

أنت العاصفة الهوجاء تتقاذف النفوس البريئة كتقاذف الأثير لأرواح البشر !

أنت الخمر المعتقة تلعب بالألباب ، وتهزأ بالنفوس ، وتسخر بالرؤوس ثم تهزمها شر هزيمة !!

أنت الهوى والغرام !

أنت الوجد والهيام !

أنت الحب العاتى الغشوم !!

نفوس كثيرة لفظتها الحياة ، فسخرت بها غير آبه بنفوذها ، وألوف من أبناء الحياة توليت سجنهم وصيرتهم أسرى لك تعبث بهم وتسيرهم كما تريد .

أنت أيها الحب العابث بالأنام الساخر بالوجود !

ألا ما أجبرك وأقساك ، وأمرك وأدهاك ! !

أين يغدو هذا العالم المتخبط فى غياهبك تارة ترفعه بعظمتك وتارة يسفل بجبروتك ؟ !

هذا العالم الجميل !

عالم الإنسانية الغارق فى بحارك اللانهائية ، وبين آمالك المتدفقة وآلامك المحسوسة ، وأمانيك الممزوجة شهدا وعلقما .

ألا ما أقواك وأجبرك يا حب !

يا حب . يا أس الشقاء المستحكم ، ورأس البلاء المستأصل .

أين تغدو هذه الجموع المتدفقة لأجل الحياة فصيرتها تعبث بالحياة ؟ !

هكذا يا حب أنت ! وهكذا مصيرك إلى الفناء ، وإلى الهاوية .

وهكذا مصير مريديك وحاملى لوائك .

فالويل . . الويل لمن أتبعك ، وسلك سبيلك واختط نهجك ! !

فإما الشوك أو الزهر . . .

الدنيا فى الطائف !!

مناظر من سحر الجمال أراها ولولا سناها قلت كنت أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها لعمق معانيها وبعد مداها

العقاد

لئن نخر الأوروبيون بباريس مدينة الحب والجمال باعتبارها دنيا لهم حافلة بالعجائب والمدهشات . ومائجة بمواكب الحب والجمال . . .

فالطائف مدينة الماء والهواء اللذين هما أنفس ما تقوم به الحياة ، وهى دنيا لنا حافلة أيضا بمعانى النور والآمال ومائجة بموكب الربيع والأزهار .

هذا هو الطائف الجميل . دنيا بهيجة فاتنة بجمال الرواء ، وسحر البهاء ، وجل ما فى هذه الدنيا يعبر عن مكنونات النفس ، وخلجات الضمير ، ويوحى إلى الإنسان معانى السعادة ، وأسرار الحياة ، وتباشير الأمل .

أجل ، هذا هو الطائف المأنوس .

صفاء فى الجو ، ورقة فى النسيم ، وجمال فى المنظر ، وفتنة فى الطبيعة .

الطيور تنشد أناشيد الأمل والسرور ، والماء ينساب كانسياب الأمانى إلى النفوس الهادئة .

والأزهار تعبق بعبيرها عبيق الحياة النقية المفعمة بالأمانى والأحلام من نسرين قوى نفاذ يرتفع أريجه إلى مدى يغمر النفوس ، ومن نيلوفر ناضر يتفتح بالبهجة التى تسرى هموم القلوب ، ومن زنبق يتصاعد عبيقه عطرا منعشا ، ومن ياسمين وسوسن وريحان .

والنسيم البليل يداعب الجسوم فيهتاج الخواطر الوديعة الهادئة .

هنا الدنيا الممتازة المتألقة فى بدء الربيع تمشى مع مواكب الأزهار الحافلة . . . هنا الدنيا التى تهوى إليها النفوس المطمئنة والأفئدة المتطلعة إليها بدافع الحب والشعور الصادق .

حيث ترف الأرواح رفيف الأمل الباسم ، وتتهافت تهافت الواجد الولهان .

حيث تتجاوب المشاعر ، وتختلط أصداء القلوب ، وتغرد خواطر النفوس تغريد الحب والوئام .

هنا عالم جميل تتجلى فيه السعادة بأسمى المعانى الجاذبة ، وأجلى المظاهر الخالبة . أو كما يقول العقاد :

هنا عالم السلوى هنا العالم الذى   تحس الليالى فيه همس خطاها .

هنا الطائف الجميل . . . هنا المصيف الحجازى البديع .

وأخيرا . . . ليس كل ما قلته يؤدى المعنى المطلوب عن هذه الدنيا الزاخرة بالحسن . وإنما هو قليل من كثير وأكتفى بأن أقول بعدئذ : أن كل ما فى هذه الدنيا اليوم يعبر عن لغة النفوس حال سكرها بنشوة الحب النزيه والغرام الصادق ، ويالسعادة من تبسم له الآمال !!

حديث الصباح :

فى الروض

هذا حديث من وحى الصباح ، ممزوجا بشىء من معنى الصباح. وكل معانى الحياة يحسن أن تكون ملائمة لموحياتها ، ولأن لصباحى حديثا شهيا يستفز العواطف ويوقظ الشعور آثرت أن أسجل صورة من معناه وتأثيره فى نفسى .

هب النسيم هادئا بليلا !

وبزغت الشمس من وراء الجبال ، وأرسلت أشعتها على الكون فملأت الحياة نضارة وجمالا ووحيا .

وجرى الماء فى الأحواض ، وترنحت الأغصان ، وفاح عبير الزهور ، وغردت الطيور ، وكان منظر الطبيعة خلابا يستهوى العقول .

واحتجبت الشمس ، إذ شمل الجو غيم رقيق يسميه الناس (غيما سكريا) ولهذا الغيم السكرى سكون هادىء يتخلله نسيم بليل يداعب النفوس فيجعلها تخضع لسلطان الجمال .

وهناك فى الروض !

حيال ذلك المشهد الطبيعى ، حيث الأشجار الباسقة ، والثمار اليانعة . . . حيث عبق الزهور ، وابتسام النرجس ، وخرير الماء ، وصفاء الحياة .

هناك وقفت .

وقفت خاشعا بكل وقار وجلال مؤديا فريضة تقديرى وإعجابى بصنع خالق الكون والحياة ومصور الأشياء ، ومن ثم اتقدت فى نفسى عاطفة الحب وأخذت أشعر بالحياة من جديد .

ذلك المشهد الذى بعث فى نفسى روح الحياة وسر السعادة ، وجعلنى أترنم بأناشيد الأمل ، وأغانى الحب !

وأخيراً — سلوت أهلى وعشيرتى ، وعزفت عن صحبى ومعارفى ، وأخذت أبحث عن ضالتى فإذا أنا كقاب قوسين أو أدنى .

وهناك فى الروض !

عرفت كنه الوجود وسر الحياة ، وعرفت معنى السعادة ولذة العيش .

هناك شعرت بأن بين جنبىّ نفسا مصدعة لا تقومها إلا عاطفة الحب ، وقلبا مظلما لا ينيره إلا شعاع الحب وبريق الأمل .

ثم عدت بعد سنين فوجدت نفسى حافلة بمعانى الحب الفياض ، وبمعانى النور والحرية . . وهو سر غامض من ذلك الحديث الذى أوحاه إلىّ صباحى فى ذلك الروض الزاهر الذى يجعلنى اليوم أندد بأولئك الذين يفضلون الحياة فى أعماق الظلام كما أعجب ممن لا تروقه نقاوة الهواء وصفاء الجو من الأثرياء ، ولا ينظف فكره من غبار الجمود وركود الأفكار المضطربة فى دماغ بغير حركة موجهة .

شعر منثور :

أيها الحظ

أيها الحظ إننا قد أشحنا عنك وجها رآك سخراً متاحا
وطعنا بالكبرياء خصالا فيك تبدو مع الجنون قباحا
فمحال أن نسمع الصم والعمي ونجلو للرعن نهجاً صراحا

« العواد »

أى سر غامض أنت ؟ !
وأى لغز حير ألباب الجهابذة من قادة الفكر وهنادسة البيان ؟
ومم يتكون هيكلك العظيم الساكن فى خضم الحياة ؟
نفوس جمة حشدتها الحياة ، فهزمتها أنت غير مكترث بها ،
وغير عابىء بصولتها وعزها وسلطانها ، ونفوذها فى الوجود .
وجموع متدفقة من أبناء الحياة صعدت بها إلى أجواء النور ،
وإلى عالم الخير والثراء وهى لما يكتمل بعد نموها الطبيعى .
إذا . . يا حظ أصارحك ! !
الشعور والمواهب والمؤهلات — كلها تتلاشى !
إذ لم يكن لك أثر فى دستور حياتها !
يا حظ يا أمبراطور الحياة المستبد !

ماذا سيكون مصيرى بعد نهاية العقد الثالث من حياتى ؟ !
وماذا سيكون مصير هذا العالم المتفانى فى حب الحياة لأجل الحياة ؟ !
أيها الحظ !
تبسم حينا وتعبس أحيانا .
لا أدرى ولن أستطيع أن أدرى ! !
والعالم كله — يا حظ — لديك لا يدرى !
جاهله يعدو على عالمه ، وأحمقه يزدرى بعاقله ، وطالحه يناوئ صالحه .
فماذا وهبت يا حظ ؟ !
الأديب الفنان يرزح فى الإفلاس .
والشاعر المبدع يتضور جوعا ، والفيلسوف الحكيم يتقطع حسرة وأسفا .
والعامل الشجاع يفترش الرمضاء ، ويلتحف السماء !
والجاهل العربيد فى دست الجلال ، والغر الأهوج لا يسعه الفضاء ! !
والرجل الموهوب يا حظ !
فى طى الخفاء . . .
وكلما جال للظهور مجالا — زدته يا حظ فى العيون خفاء .
إيه ، يا حظ ! ! يا أمبراطور الحياة المستبد .

لا أدرى ولن أستطيع أن أدرى . . والعالم كله لا يدرى !

متى يسمح القدر بانتشالى من عزلتى ؟

ومتى أرى منك ابتسامة الرضى والأمل ؟

حيث يا حظ ! ! قد طال فى الزوايا قعودى (ومتى أنت مثبتى فى الوجود) ؟

متى يجىء دورى المخبوء فى صفحات الأقدار ؟

ومتى ينطفىء أوار نفسى الصادية ؟ ولكن . يا حظ !

يا لسعادة من يبسم له الحظ ! ! !

حركتنا فى الأدب

أظننى لا أجف إن قلت إن حركتنا فى الأدب حركة حية ملموسة تبشر بمستقبل زاهر، ونجاح عظيم يوازيان مطامعنا فى الحياة، وأقول ذلك لأن الأمة الحية التى تريد أن تثبت كيانها فى الوجود لا يمكن أن يكون لها أدب تعتز به ما لم تظفر بأوفر قسط من الحيوية يتكون منه أدبها، وتنشىء به مجدها، وتحلق بجناحه فى أجواء الفضيلة والنور.

فالشعب الحجازى — شعب حى متوثب يتطلع إلى الحياة بوجه مشرق نضير وشوق متقد، ويدأب للغلاب والتضحية فى سبيل الواجب، فهو بهذا شديد المطامع فى الحياة، ويصيخ لداعى الحضارة والمجد. ولولا بعض الظروف القاسية والأوضاع الشاذة التى مرت عليه فى أحقاب سلفت من تاريخه القديم فى العصور الوسطى لما كان الحجاز فى حالة ملحوظة من التقهقر.

فالحركة الأدبية فى الحجاز اليوم هى وليدة الثورة العربية الكبرى واليقظة العامة التى فتحت عيون العرب لأخذ حقوقهم المدنية — والأدب الحجازى الحديث متأثر جداً بتلك الحركة وكل ذلك كان أثره البالغ فى نفوس شباب الحجاز وناشئته

المتعلمة بدافع الذكاء العربي المشهود له من الأوربيين ، والنبوغ الحجازى الممتاز ، وكان هذا أكبر عامل لخلق هذا الجو الأدبي وأكبر باعث على إنعاش الروح الأدبي فى بلادنا اليوم — وهذا ما جعلنا نتفاءل بوجود نهضة أدبية عظيمة الأثر كنهضة غيرنا من الأمم العربية التى نالت حظها الوافر فى معترك الحياة وقد ظهرت مقدماتها .

فالأدب الحجازى اليوم بحسب الواقع والمحسوس قد أصبح رمزاً ساطعا لما فى أفئدة الحجازيين من عواطف وأحاسيس وما فى نفوسهم من شعور وأفكار .

فشباب الحجاز قد نظموا الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه فى الصحف والمجلات وبعض المجاميع الأدبية كمجموعة (أدب الحجاز) جمع الأستاذ الكبير محمد سرور الصبان و (وحى الصحراء) جمع الأديبين المرحوم محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير و (نفثات من أقلام الشباب الحجازى) جمع هاشم يوسف الزواوى وعلى حسن فدعق وعبد السلام طاهر الساسى وهناك بعض مؤلفات وبعض دواوين شعرية نذكر بعضها للواقع والتاريخ — كتاب (المعرض) جمع الأستاذ محمد سرور الصبان وكتاب (خواطر مصرحة) للأديب الكبير الأستاذ محمد حسن عواد ، وكتاب (ماضى الحجاز وحاضره) للأديب الأستاذ حسين نصيف ، وكتاب (حياة سيد العرب) للفاضل المرحوم الشيخ

حسين باسلامه ، وكتاب (رحلة الربيع) للأديب الأستاذ فؤاد شاكر ، وكتاب (رجالات الحجاز) للأديب ابراهيم فلالى ، وكتاب (الخرج والشرائع) للأديب أحمد عطار ، وديوان (الهوى والشباب) للعطار أيضا ، وديوان (أحلام الربيع) للأستاذ طاهر زمخشرى ، وهناك بعض مؤلفات وبعض دواوين شعرية جاهزة للطبع نأمل أن يهتم أصحابها باظهارها إلى عالم الأدب .

وأن كل تلك المجاميع والمؤلفات والدواوين إن اختلفت فى أعراضها فإنها لا تختلف فى جواهرها ، وما تنطوى عليه من تسام إلى المثل الأعلى ، إلى تعمق فى أسرار الحياة وشعور بالجمال والحرية .

فبهذه السمات يطالع الأدب الحجازى الشعوب العربية ويثبت شخصيته بين الأمم الناطقة بالضاد .

ويعود الفضل فى هذه الحركة إلى ثلة من الشباب العاملين المصلحين وهم الذين ننعتهم بالأدباء الممتازين الذين صوروا الحقائق الأدبية فى أدق صورها على ضوء الواقع والتفكير الحر الصحيح كما هو شأن الأدب الحى فى الأمم الحية ، وهاته الثلة هى التى رفعت لواء الأدب الحجازى عاليا ، وألبسته حلة من المجد والفخار سواء كان شعرا أو نثرا .

وهناك ثلة أخرى ، وهى التى ننعتها بأدباء الرعيل الثانى ، وقد تأثرت جدا بتلك الروح وساهمت كثيرا ولا زالت وأنتجت أدبا حقيقيا صرفا لا غبار عليه .

وإننا نهيب ببعض شعرائنا الممتازين كالعواد والفقي والقنديل ممن رأينا دواوينهم الشعرية الطافحة بشتى الأفكار وممن لم نر لهم دواوين — لعدم اتصالنا بهم — ولكننا نشعر أنهم ساهموا فى حركة الأدب الحى بآثار محترمة كالأساتذة الآشي وسرحان والعامودى وحسين عرب ومحمود عارف الخ ، بأن يهتموا فى نشر دواوينهم وإظهارها إلى العالم المتعطش لها لأنهم بها يحققون الظنون ، ويثبتون للعالم أن هنا أمة حجازية قد وصلت إلى درجة مشرفة فى الحيوية الباعثة والنهوض بأعباء الحياة ، ولا شك فإن فى ذلك اعتزازا بالقومية العربية ، وحنوا إلى الوطن الإسلامى الأول مهد النور ومنبع الفكر ، ومنفجر البلاغة .

وأخيرا — هذه إلمامة عن حركة الحجاز الأدبية أقدمها ، ولعل ما كتبه وما سيكتبه الأدباء فيه البرهان الساطع لهذه الحركة المجيدة القائمة على أكتاف الشباب الذى أتمنى له مستقبلا حافلا بالسعادة والأمل . . .

إلى الأدباء... الكبار

إليكم أيها الرهط أسوق الحديث :

لقد تقلص ذلك الماضى السحيق الذى كنتم تقابلون فيه إخوانكم الشباب الصغار بالتهكم والازدراء الذى تعتبرونه نقدا صريحا يقوم اعوجاجهم .

لقد كنتم تعتبرون الأديب الحجازى الناشئ زعنفه من زعانف الأدب وكم من أولئك الأدباء الناشئين صبروا على شتى ألوان القول القارص ، بعضكم يقول هذا سخيف ، والآخر يقول حشرة والبعيد يقول زعنفة، والقريب يقول جرثومة — وهكذا دواليك .

ولكن — بالرغم من معاولكم الهدامة ، صبروا حتى نالوا ورأينا وسنرى انتاجهم الأدبى المرموق والمنتظر بعد حين قريب من الزمن .

أما أنتم أيها الأدباء الكبار . . .

الكبار جداً . . . ماذا أنتجتم لنا ؟

أدواوينكم الشعرية التى ملأت مكاتب الصحفيين ؟ .

أم مؤلفاتكم العلمية والأدبية والتاريخية التى انتفعت بها البلاد وتثقف بها النشء ؟

سلوا التاريخ ؟؟

سلوا تاريخ نجد الحديث وقلب الجزيرة . ومنزل الوحى . .

وأخالكم تعدون هذه الصراحة منى سوء أدب ، فإنى تلميذكم البار وأخوكم المخلص المتألم لهذه الضجة التى تظهر دائما عندما يظهر أى أثر جديد .

فيا للمأساه !

وإن أعجب فلا أعجب إلا من الأستاذ عزيز ضيا الذى طلب إلى الأديب الزمخشرى أن يهدى إليه ديوانه أو لأحد كبار الأدباء بدلا من هيكل باشا .

وأنا واثق جدا بأن الزمخشرى لو أهدى ديوانه للأستاذ عزيز ضيا أو لخلافه لمقته وأخذ يصب عليه نيران نقده المحرقة حتى يكبت عواطفه ، ويقتل شعوره ، ويصم إحساسه ، وهذه غريزة أدبائنا . . . الكبار سامحهم الله .

على أن الأديب الزمخشرى أو العطار ، أو الفلالى كل منهم أوشك أن يؤدى واجبه الأدبى بالنسبة لمحيطنا ، وكل ذلك بدافع الغيرة والتضحية ، لابدافع الشهرة كما يتصور ذلك الأدباء الكبار .

ولقد قرأنا وقرأ الناس فى الداخل والخارج مؤلفات شبابنا المتيقظ ، فبهلا بهاته الروح المتيقظة والدوافع الفكرية التى تمثلت وستتمثل فى أمثال أدبائنا .

غزارة فى المادة ، وقوة فى التفكير ، وخصوبة فى الخيال ، وجمال فى الأسلوب .

كل هذه خلال سامية تطالع القارىء المستقيم التفكير فى مؤلفات أدبائنا المذكورين ، وإن كانت هناك بعض علات ، وبعض هفوات وقعت ، فإنها تغتفر لهم لأنهم فى بدء حياة جديدة، وتكوين جديد .

فيا أدبائنا الكبار !

نحن لا نشك فى أدبكم ومدى ما وصلتم إليه من الثقافة والتعليم، ولكن نقول لكم كونوا معتدلين منصفين وترفقوا بالمنقودين ، ونحن نفهم جيدا أن النقد هو الدعامة الكبرى للبناء لا للهدم ، ولكن ليس كنقدكم هذا الذى هو عبارة عن تبكيت وتهكم وازدراء ، فإن النقد شىء ، وهذا شىء آخر .

نرغب أن تواصلوا جهودكم الجبارة ، وتتحدثوا إلينا عن تاريخ الوطن ، وحكومة الوطن التى ما برحت تفسح المجال للعلم والأدب ونشر الثقافة فى طول البلاد وعرضها .

حققوا أقوالكم وآمالكم ! !

فالأدباء هم نبراس الأمة فى حاضرها . والشباب الناشىء هم عماد مستقبل الأمة ، وعلى الأدباء تحقيق آمالهم بفضل جهودهم وحيويتهم ، أما تلك الأساليب البالية فإنها بلاشك ستكون بمثابة ذريعة لقتل شعورهم ومواهبهم حتى يقضى عليهم ، ومتى قضى عليهم قضى على الأمة نفسها ويلوح أن هناك بارقة أمل جديد سوف تظهر وتتحقق قريبا إن شاء الله بفضل جهود حكومتنا السنية لأن سيل البعثات المتدفق على مصر سوف يثمر ثمرا جنيا .

وأخيرا أستسمح عواطفكم أيها الأدباء . . . الكبار .

أتهم الشباب

يؤسفني وأيم الحق أن أتحدث عن الحقيقة الجارحة ، أو أن أسجل بعض الحوادث المؤلمة التي يندى لها جبين الحر حياء وخجلا ، ولكن لا بأس ، إذا لم أتحدث بها أنا وأسجلها بقلمي لأكبح بها جماح إخواني من الشبان عن تطرفهم وتمردهم وغرورهم فإنه سيتحدث بها غيري ويسجلها ، وهناك الضربة القاصمة علينا لا سيما إذا كان المتحدث أو المسجل أجنبياً ، ومن الذين قد يجوز أنهم يدسون لهذه البلاد ويكيدون لبنيها ، ولهذا فإن من الأصلح أن ننقد أنفسنا ونوجه إخواننا وأبناءنا ونصفي حسابنا قبل أن نقع بين مطرقة الأجنبي وسندان القساة !

فالشباب الذي أتهمه اليوم محتقر في شكله المزري ، وخلقه المترهل ، وزيه الممقوت ، وطابعه السقيم .

هذا الشباب . . إذا ما قدمنا له شواظاً من نيران السخط والتذمر ، ولوناً من ألوان التهكم والازدراء ، وقابلناه بالعنف والشدة فإن إحساسه بزلاته يتضاعف ويتجسم ، وهنا توجد الطرق الناجعة لإصلاح تلك الزلات .

أما الشكل المزري في شبابنا اليوم الباعث على الانتقاد

ومقت الرأى العام هو أن زمرة من الشباب المتعلم — ويا للأسف — قد تجردت من اللباس المحترم الذى يعطى شارة اللياقة والكمال (كالمشلح والشطافة) أو كالعطيف (الكوت) والأحرام، فنرى الفرد الواحد من هذه الزمرة يمشى فى الشارع أو يجوب الطرقات بثوب فقط وعلى كتفيه غترة وهو أشبه بالمنحل (الحليحلى) على حد تعبير بعض الناس، ويمشى وعلى سحنته علامات الرخاوة وكل ما من شأنه أن يثير سخط الناس المحترمين الذين يقدرون اللباس المحترم ويعظمون الشكل اللائق كما ينبغى.

وبعض من الشباب يكتفى بلبس (العطيف) فقط بدون غترة أو أحرام، والبعض الآخر يكتفى بوضع العطيف على كتفيه، وفى كلتا الحالات يكون منظر صاحبنا سخيفا مثيراً للتذمر والازدراء من الطبقات المحترمة التى تحافظ على كيانها وزيها وطابعها، ولا شك أن كل إنسان عاقل وهب موهبة الذوق والشعور والإحساس فإنه ينظر إلى هذا المزدهى المختال بنفسه نظرة ذل واحتقار وانكماش لخلوه من صفات الكمال وطابع الرجولة الذى يبدو على الإنسان من زيه وهندامه حتى لقد لمسنا ذلك فى كثير من الحالات ولفتنا أنظار البعض من الشباب فكانت محاولاتنا عبثا، وصرخات فى واد.

أما الصنف الآخر من الشباب الذى أتهمه وأبالغ فى اتهامه فهو ذلك الشباب الذى ضرب بالحياء صفحاً، وألقى به جانبا،

ولم يعد يكترث لشيء اسمه خلق ، أو اسمه لياقة أو عيب . أو للظهور بمظهر مشرف يرفع من قدره ويزيد فى كماله .

ذلك الشباب هو الذى أوجد كثيراً من الحوادث السيئة التى نترفع عن ذكرها ويسبقنا الحياء والخجل عن التنويه بها .

ذلك الذى يجاهر بزيه الممقوت المستهجن ، وشكله الوضيع غير مبال بسخط الناس وتذمرهم من منظره البشع الباعث على السفالة والانحطاط .

ذلك الذى يرتدى ثوباً خفيفا ، وسروالا قصيرا ، وفانلة مخرمة ذات حمالات شبيهة بشلح النساء ويمشى ويتمخطر فى الشارع والأنظار تتجه إليه فى سخرية وتهكم وازدراء ، والأفواه تلعن عليه وعلى ذويه ، وعلى فصيلته التى تؤويه .

هذا الشباب الوضيع الذى يمثل الأنوثة فى أكمل أدوارها إلى جانب تصفيف الشعر وتعطير الوجه وقص الشارب وحلق اللحى .

هذا الشباب الذى يستحق التقريع والتأنيب حتى يثوب ويؤمن إيماناً صادقا برسالة الأخلاق ، ويفهم أنه يعيش فى بلاد انبثق منها فجر الفضيلة ، وتألقت شموس الهداية الإسلامية وأضاءت الدنيا بأسرها .

ثم إذا أردنا أن نلق اللوم والعتب فإنما نلقيه على الآباء وأولياء الأمور الذين يتهاونون بالأمور الجوهرية ولا يقومون

اعوجاج بنيهم وذويهم ، ثم إلى المدارس التى ينشأ الشاب بين أحضانها ردحاً من الزمن دون أن تبث فيه روح الفضيلة والأخلاق السامية والرجولة الحقة التى هى أوجب ما يجب على المدارس أن تلاحظه فى طلابها .

والمدارس قبل أن تلاحظ حالة الدراسة والشهادات وما إليها يجب أن تلاحظ حالة الأخلاق ، وحالة الهندام والزى المحترم والطابع الجميل الذى يتحلى به الطالب ويقوى فيه ملكة التحصيل ويبث فيه الوعى والانتعاش الروحى وتحريك الإقبال والتهافت على الدراسة بوجه مشرق نضير لأن هذه الحالات أشبه بالنظام أو الدستور فيكون الناشىء قابلا للتعليم على أساس صحيح من الخلق والكمال والرجولة .

ولكم شاهدنا هذه الحالة المؤسفة فى بعض أبناء المدارس ، وأنه لمن المخجل حقاً على المعلم أن يرى المنكر فى طالبه ولا يغيره ، وهل هناك منكر أكثر من هذا التقشف وظهور عورات الجسم أمام الملأ وسواد العباد ؟ !

وهذا الصنف من الشباب لا يبعد أن يكون شبيهاً بالشباب المترهل الخلق وهو الذى يتبادل الشتائم والسباب بطريق المزاح وبئس المزاح فيتناول بعضهم بعضاً فى العرض بأنواعه بدون أن يؤثر فيهم شىء من ذلك ، أو يغير من كيانهم أى لون من ألوان السباب فيتلقى الفرد منهم الشتائم الجارحة بصدر رحب وبثغر باسم غير عابىء بالنتيجة السيئة التى تعقب ذلك .

وهؤلاء هم الذين يجاهرون بالسوء ولا يخافون الله فيما يقولون . فلا تكمل ولا تلذ اجتماعاتهم إلا بالشتائم واللعنات المتنوعة التى يقشعر منها الجسد والعياذ بالله .

ولو أن هناك هيئة لحماية الأخلاق لوجهنا إليها كثيراً من هذه الحوادث المريرة التى لا يمكن السكوت عليها بحال من الأحوال. ولا ندر ألم يكن لأولئك زاجر من أنفسهم أو رادع يوقفهم عند حدهم ؟!

فاللهم إن هذا منكر لا ترضاه ، فنعوذ بالله من شطط النفوس الوضيعة ؟

أدب الغرور . . !!

هو أدب ثلة من الناس فى كل زمان ومكان تعتز به وتقتفى أثره وتترسم خطاه لتنال به مركزاً متوسطاً فى الأوساط العامة أو لتنال به شهرة تجعلها فى مصاف الأدباء ولو من غير المبرزين والواقع أن أدب الغرور هو الأدب السقيم الذى لا يرتكز على محور ثقافى صحيح ، وليس فيه بصيص من الفكر الثاقب والشعور الدافق ، بل جل ماينطوى عليه هو الجرأة والولع والإصرار ممثلا فى قول القائل « غشيم ومتعافى » وهذا لا يلبث أن ينكشف بسرعة أمام التاريخ وأمام منطق الحياة وحقائق الواقع . وحين يستسلم صاحبه أمام محكمة الضمير ويتندى جبينه إذ ذاك حياء وخجلا لأن الأدب ليس هو تزجية فراغ أو سبيل لبلوغ غاية من الغايات ، بل الأدب أسمى وأجل من أن يعبث به ضعاف النفوس والأفكار ممن قالوا أنهم أدباء وشعراء ، أو أن تسطو عليه الأقلام العوجاء والأفكار المتحجرة ، والآراء السخيفة التى لا يمكن أن تستثمر منها أية جهود كانت لنضوب فى الفكر ، وسقم فى التعبير ، وتطويح فى الأسلوب .

أجل ، إن أدب الغرور لا يمكن أن تنال به أية أمة من الأمم

حظها فى الحضارة والمدنية ، ولا يمكن أن تقوم عليه فكرة النهوض بالحياة الاجتماعية بل العكس بالعكس والضد بالضد .

وهناك نفر ضئيل من بنى قومنا وطنوا أنفسهم على أن أدب الغرور هو الأدب الصحيح الذى به يستطيعون بلوغ الإرب ونشدان الكمال والفضيلة والصعود إلى أجواء النور والحرية ولكن سرعان ما أثبتت التجارب أخيراً بأن أمانيهم تلك قد باءت بالفشل لأن الفكرة من أساسها سقيمة سيئة لا تقوم على منطق صحيح ، أو فهم دقيق مدبر ، ولهذا فقد ولوا اليوم مدبرين شأنهم شأن الفانين المتسكعين تسكع الحشرات بين حشائش الأدغال .

ومن المؤسف والمخجل أن نرى ذلك النفر قد استسلم لمبدأ الغرور ظنا منه أنه سيكسبه مجداً عريضا فى الأدب والاجتماع وأن الغرور وحده هو الذى سيسهل له مهمته فى الحياة الأدبية وأنه بدون الغرور الذى يدعو « فى رأيه » إلى التعاظم والغطرسة لا يمكن أن ينال حظه فى معترك الحياة الأدبية .

والواقع أن كل هذه العوامل قشور بالية وهشيم ممزق بالنسبة إلى الأدب الصحيح لا يمكن بحال من الأحوال أن ينشأ معها الشاب كما يريد ولا أن يكون بها الرجل أديبا يشار إليه ببنان التقدير والإعجاب حيث الأدب الصحيح هو الذى ينطوى أولا على حسن الخلق ودمائته ، والتواضع اللائق ورحابته .

هو ذلك الأدب الذى يرتكز على محور ثقافى عام حيث التعليم الكافى ، وحيث الاطلاع الواسع ، والتفكير الحر ، والذوق فى اختيار الأسلوب الرشيق الرصين الذى يهز أوتار القلوب ، ويحرك رواكد النفوس ، ويوقظ تيار الفكر الجامد والإحساس البليد .

هو ذلك الأدب الذى يهدف إلى ترسيخ الفكرة وإنشائها وإخراجها من عالم الظلام إلى عالم النور والجمال .

والأديب هو ذلك المثقف ثقافة عصرية صحيحة ، والذى يستهدف كل ما يرومه فى حياة الفكر والشعور والخيال والواقع والحس والوعى والاستنتاج والمنطق ، ويستجيب لكل عنصر من هذه العناصر التى تجمع اسم الأدب الصحيح ويكون قوامها التأثير وجمال الأسلوب الكتابى أو الشعرى على أن يكون الأساس فى ذلك عدم الغرور وعدم النزق والمداجاة فالأدب الذى يتجه به صاحبه هذا الاتجاه الممقوت والمبغوض يعتبر إسفافاً وتهريجاً لا قيمة له فى دولة الأدب .

فالأديب الناقد مثلا يجب أن يتسلح بسلاح المعرفة ويتذرع بالتسامح مع منقوده ولا يقابله بقوارص الألفاظ ولواذعها فإن النقد النزيه القائم على الثقة والأمانة شىء ، والازدراء والتهكم شىء آخر لا يمت إلى الأدب الصحيح بصلة .

والأديب المدافع أو الذى ينصب نفسه حكماً يجب أن يكون قوى الأداة عارياً عن الشوائب والأغراض ، وأن يكون حكماً صادقاً ، وأن يحمل فى رأسه ميزاناً راجح الكفة لا يقبل الشك ولا التأويل هو ميزان العدالة والذوق والاستنتاج والتعليق بإمعان يتفق مع قوة الحجة وغزارة المادة والفهم .

ومن السهل جداً أن يتسرب أدب الغرور إلى الأديب الضعيف وهو لا يشعر أنه وقع فى حبائله حتى يتوهم أنه أفلاطون زمانه فيخلط بين الحابل والنابل ويتعثر بسجع مرذول أو نظر قريب أو تقليد أعمى واندفاع متسكع حتى يقع فى الهوة ويتسرب إليه اليأس والملل والأسف والندامة هذا إذا كان ذلك الأديب حراً قوى الإيمان بنفسه فيتراجع ، وإن كان بعكس ذلك فيكون نصيبه الخذلان والفشل والاندحار .

أما نصيحتنا الغالية لأدباء الشباب فهى أن يكون الفرد منهم قوى الإيمان بنفسه ، رقيق الشعور فياض العواطف لا يجعل للغرور مجالا ولا للإسفاف سبيلا ، وأن لا يزج بنفسه فى مجالات لا يستطيع مجارأتها للنهاية ، بل يجب أن يكون الأديب الشاب متزناً متئداً فى خطاه ولا يندفع مع التيار ولا يجارى سوى الحقائق التى يستنكه منها روح الفضيلة والكمال ، وينشد الإصلاح والتوجيه العام ويتوخى الأمانة والصدق فى النقل والدفاع والحجاج ،

وبذلك يكون له شأن فى الأوساط الأدبية ويستفيد من أدبه سواد العباد .

ثم لا يفوتنا بعد هذه النصيحة أن ننوه عن الفروق الطبيعية بين الأديب المتزن العاقل والأديب المتهور المندفع الذى يمشى وعلى سحنته علامات الغطرسة والخيلاء والازدهاء وهذا ما جعل رعاع الناس يستهترون بالأديب ويقابلونه بالعنف والازدراء والمقت والتوبيخ بينما يلاطفون الإنسان العادى لمجرد اتزانه ودماثة خلقه ورحابة صدره ذلك الإنسان الذى إذا سار فى الطريق اشرأبت له الأعناق وحيته الجماهير بقلوب عامرة بالشعور والإيمان الصادقين .

وعلى هذا الاعتبار ندرك تماماً أن الأدب هو أدب النفس ، وأدب الشعور بالواجب ، والتفكير الصحيح فيما يفيد المجتمع ويجعل للأمة شأناً وشأواً رفيعاً لدى سواد الشعوب .

ثم لا أدرى من الذى قال أن الأدب مبدأ من مبادىء الارستقراطية وعنصر من عناصر الطغاة والمستبدين فى الأرض حتى أصبح كثير من شبابنا المتعلم اليوم يشعر بهذا الشعور ويحس بهذا الإحساس ؟؟!

فالأدب يا إخوانى المغرورين ، ويا أعزائى الغافلين مبدأ سام من مبادىء الديمقراطية الحقة ، بل هو قبس من نور الحق واليقين . فلا يهولنكم الأمر ، ولا تستعجلوا لأخذ الثأر والدفاع عن الضعفاء الذين لا يكترثون بالحقائق ولا يعبأون بالقيم المعتبرة

فى عالم القلم أو عالم الفن ، وإنما وجهوهم وصححوا لهم المقاييس والفهوم ليعتدلوا ويسلكوا سبيل الكمال .

وخلاصة القول فإننا نحذر إخواننا أدباء الشباب من أن يندفعوا وراء ميولهم وعواطفهم ، وأن يحكموا العقل والمنطق فى كل اتجاهاتهم الفكرية التى يعملون من أجلها وإلا كانت السهام الرائشة تصيب فى قرارات نفوسهم وتراً حساساً ؟ .

خواطر وأفكار مرسلة

العظيم هو من يقترن قوله بفعله ، ومن يبنى الأسر المهدمة بقدر ما أوتى من عظمة ومجد وسلطان ! !

* * *

الأديب الحر هو الذى ينظر إلى الحياة بمنظار واحد هو منظار الذوق والشعور الصادق ، وهو الذى يتناول لباب الحياة لاقشورها !

* * *

الشاب العصرى هو الذى لا يقبل القول على عواهنه ، بل يميز الأشياء ويزنها بميزان الإحساس والذوق العصرى الممتاز ، وهو الذى لا يقحم نفسه فى مجال يكشف عن ضعفه وخوائه ! .

* * *

إذا منيت أمة بشبان جهلاء متقعرين ، وشيوخ رجعيين فى الأفكار والتقاليد ، ورجال أميين متغطرسين لأجل الثراء فقد منيت بالعقبة الكأداء فى سبيل نهضتها وتقدمها الثقافى والاجتماعى .

* * *

الحب النزيه العارى عن الشوائب والأغراض ، والحب السامى المستقر فى طبيعة الوجود . هو الحب الذى تقدسه الأرواح الطاهرة فى ملكوت سمائها ، وتتفانى فيه الملوك والجبابرة والعظماء .

***

الرجال الممتازون إذا أهملهم المسؤولون لغاية من الغايات ، أو لطبيعة الإهمال وحدها فإن الإنسانية بأسرها تحتفظ لهم بامتيازهم وتفوقهم على الجميع وتبنى لهم عروشا من أكاليل الغار ، والتاريخ يسجل أعمالهم على صفحاته الخالدة .

***

الأديب الثرثار كالببغاء يردد ما يسمع ، ولا يعى ما يقول ، ويخطىء وهو غير شاعر بالخطأ .

***

إن من أنجع الوسائل لتهدئة الأعصاب واتزان العقل التفكير بحرية وعلم ، والتحدث بصراحة وعدم إشراك العاطفة الهزيلة فى الموضوع .

***

الجمود والوهم داءان عضالان إذا سلم منهما الإنسان كان حريا بالنجاح والتقدم .

***

الجهل المطبق معرة، وجهل الأدباء لا يكشفه إلا النقد البارع النزيه المتعالى على الأوشاب .

* * *

الرجل الحر المفكر خير من الرجل العاطفى الذى يبذل الأموال هباء ويرسل القول جزافا ولا يعنى من ينقده، ويستبدل الانتفاع بالغضب والحجة بالتهويش .

* * *

الشعر العصرى الجميل هو الذى يهز النفوس الراكدة، ويحرك الأفكار الساكنة، ويؤجج العواطف، ويبعث الحياة للنفس الصادية من جديد .

* * *

لقد دلت التجارب الأخيرة على أن الأمل قليل فى ناشئتنا المهوشة، ولكنه معقود على بعض شبابنا المتعلم ولا سيما الجامعيين وغيرهم ممن سايروا الحركة الحاضرة .

* * *

قد يشتم الغر الأهوج عظيما من العظماء أو يندد به فى معرض حديث أو مقال أدبى فى زعمه، ولكنه لا ينال على ذلك سوى السخرية والتطويح والحقاوة من سواد الناس لأن مكانة العظيم معتبرة ومعترف بها فى جميع الأوساط، ولأن الغر الشاتم لا يستطيع أن يعمل عمل العظيم أو يجاريه حتى فى التجارب والمواقف

المشرفة ويكفيه أنه يمشى ولا يسعى ، ويدب ولا يلحق ، ويصيح ولا يجاب..

* * *

كن وطنياً صادقاً ، وكن عاقلا رزيناً قبل أن تكون جريئاً وقحاً فإن من ضروب الجرأة ما هو ألصق بالوقاحة والسلوك الجاهل.

* * *

يجب أن نتعلم الأخلاق قبل أن نتعلم الأدب ، ويجب أن نقلد الأديب الفذ فى أفكاره قبل أن نقلده فى كتابته وأشعاره .

* * *

يجب أن نتعلم الحرية فى التفكير ، والصراحة فى الرأى ، والشدة فى اللهجة مع الوقار والاحترام لنبرهن على أننا أمة تعيش فى بلاد النور والفكر .

يغيظني ويسرني

ليس هذا العنوان من مبتكراتي ، ولكنه من مبتكرات مواطننا الفاضل الصديق الكريم الأستاذ صبحي الأعمى حيث كان ينشر في جريدة « صوت الحجاز » عدة مقالات تحت هذا العنوان فتأثرت جداً بكتاباته القيمة التي كان يتحفنا بها والتي كثيرا ما أصاب بها كبد الحقيقة ، وسرعان ما انزوى عن عالم الأدب وأصبح في خبر كان حيث زاول أعمال التجارة وما إليها من الأعمال الحرة .

والآن أرجو أن يسمح لي الأستاذ أن أقول :

يغيظني ويسرني :

يغيظني الشاب المتقعر في الكلام بحيث يلقيه بصفة تبعث على الاشمئزاز وتدفع السامع الحرج إلى محاولة ضرب هذا المتقعر .

ويسرني الشاب العصري الذي يزن الكلام بميزان الذوق والشعور الصادق ، ويمشي وعلى سحنته علامات النشاط والرجولة الحقة .

يغيظني الشيخ القديم الذي يقف عقبة كأداء في سبيل أي تمدن أو إصلاح جديد يعود على الأمة بالخير والنفع المشترك .

ويسرني الشيخ المفكر تفكيرا عصرياً حراً فيوجه الشباب إلى

أسمى الغايات وأنبل الأغراض ، ويذلل أمامهم كل عقبة فى سبيل النهوض بأعباء الحياة لمسايرة ركبها حتى النهاية .

يغيظنى الخطيب الثرثار الذى لا يعى ما يقول ، والذى يشمئز الناس من أقواله وعباراته الجافة ، حيث الأسلوب المفكك ، والتعبير السقيم ، والجمل السخيفة فيصدع الناس ويجعلهم يلعنون الخطب والخطباء ، ومثل هذا يجب أن يصفع ويهان حتى يعلن التوبة عن وقوفه على منصة الخطابة .

ويسرنى الخطيب المصقع الذى يستفز العواطف ، ويستحث الهمم ويبعث النشوة فى أفئدة السامعين ، وهذا لعمرى هو الخطيب الذى يستحق إكليل الغار بفضل توجيهاته وإرشاداته القيمة التى يلقيها على الملأ .

يغيظنى الشاعر الذى ينحصر شعره فى المديح والتهانى ، أو فى الرثاء والهجاء حتى ليكاد شعره أن يكون شعر الحواة والمشعوذين الذين طغت المادة على أرواحهم وجعلوا شعرهم وسيلة للكسب وابتزاز أموال البسطاء .

ويسرنى الشاعر العصرى الذى يسوح فى ظواهر الحياة وبواطنها فيتحدث عن كنوز الإنسانية ، وأسرار النفس الحساسة ، ويطرق مواضيع الحياة بأسرها ويطوف بشعره آفاق العالم حتى يأخذ بمجامع الأفئدة ويستهوى العواطف الجبارة إلى أن يصبح شعره هو شعر الحياة ينقع الغلة ويشبع النهم .

يغيظنى الكاتب الجبان الذى لا يستطيع أن يصرح عن مكنونات

ضميره ، ولا يقوى على الحجاج ، ومسايرة النقاد ، ومجابهة الحقائق والصبر على النقد المرير ، وهذا فى رأيي هو الكاتب الذى لا يفيد ولا يستفيد .

ويسرنى الكاتب الحر الجرىء الذى يهـــدم ليبنى ، ويمشى ولا يقف ويساير كل حركة ، وكل ظرف حتى يقطع حلقة الفوز ، وحتى يحلق فى أجواء كلها حرية ونور ، وهذا هو الكاتب الذى يمكن أن يشار إليه ببنان الإعجاب والتقدير ويسجل له التاريخ أعماله على صفحاته الخالدة .

يغيظنى الموظف الصغير الذى يتعالى على المراجعين فيخاطبهم بالإشارة ولا يدرى أنه صعلوك زمانه وهو يحاول أو يتخيل أن يكون بعد زمن قريب رئيسا يقبض على زمام العمل حيث يصول ويزمجر على هذا الأساس ، ونحن نجيبه هنا بقول الشاعر :

والكلب أحسن حالة وهو النهاية فى الخساسة
ممن تصـــدر للرئاسة قبـــل أبان الرئاسة

ويسرنى الموظف الهادىء الذى يترقرق فى وجهه ماء الحياء ، فيقابل الناس بوجه مشرق نضير ، وبثغر باسم يجعل المراجع يستأنس ويتفاءل بنجاح معاملته وأنها بين قاب قوسين أو أدنى من النجاح ، ولا ريب أن هذا شأن العاملين المعدودين فى حساب التقدم والارتقاء حتى يتربعوا على أريكة المجد وفخار النضال بفضل أخلاقهم السامية ومعاملاتهم الطيبة .

يغيظنى صوت بعض المؤذنين فى المسجد الحرام ، حيث كثيرا ما سمعنا أصواتا مزعجة لا يليق بأن تسمع بأى حال من الأحوال ، وحرام جداً على الجهة المسؤولة أن تسمح لأمثال هؤلاء بالصعود إلى المنائر لإزعاج الناس وتنفيرهم من العبادة والصلاة !! ولا أدرى ولن أستطيع أن أدرى ألا يوجد عندنا مؤذنون يستطيعون القيام بهذه المهمة ؟! ونحن لا نريد من المؤذن أن يكون حسن الصوت رخيما وإنما نريد من المؤذن أن يفصح فى عبارات الأذان ، وأن يكون رصيناً هادئاً يبعث الرهبة والجلال ويرجع معنى العبادة والخضوع حتى يحرك الإقبال فى قلوب الناس كما أن بعضا من المؤذنين يقولون (الله وأكبر) بدل (الله أكبر) . وهذا يتطلب الملاحظة أيضا .

يغيظنى التاجر الذى يحلف إيماناً فاجرة بأن سعر بضاعته يبلغ مبلغ (. . . .) وأنه يصرف بضاعته بدن ربح ، وسرعان ما نجد ذلك الصنف عند سواه بأقل ثمن منه ، وهذا — طبعاً — دليل ساطع على افترائه على الناس لتصريف بضاعته لا أقل ولا أكثر وهل من المعقول بعد هذه المقارنة أن صاحبنا يصرف بضاعته بدون ربح ؟! أو أن الجشع وحب المادة بلغا بهذا الرجل حتى أصبح يسوق الإيمان بلا روية ولا حساب ؟؟!

ويسرنى التاجر الصالح الذى يقنع بالميسور ويصرح أنه إذا باع بضاعة بهذا السعر مثلا فإنه يربح فى المائة واحداً ونصفاً ،

وهذا بلا شك دليل على حسن نية الرجل وصدق إيمانه وشعوره حيث اندفع إلى قول الحق ليربح ربحا هائلا دون أن يشعر به .

يغيظنى الحلاق الذى يتكلم فى السياسة حال وجود عميل عنده فيتحدث له عن كوريا ومواقع الحرب فيها حتى ليخيل إلى العميل أنه سيعمل له خارطة كوريا فى رأسه فيستلطف الله حتى ينتهى من الحلاقة .

ويسرنى الحلاق الرزين الذى يتحدث مع زبونه بلطف ووداعة فى مواضع هامة ، وهذا فى الواقع هو الحلاق الذى يمكن أن يتخذه الإنسان نديماً أو أنيسا يأتنس بأخلاقه وأحاديثه الجميلة .

هذا هو الحجاز . !

أى ، وربى !

هذا هو الحجاز ! .

الطبيعة باسمة جداً لا يعكر جمالها شىء ، والجو هادىء تسوده الهيبة والجلال ، والروعة والكمال ، ويبعث الدهشة والإعجاب .

الطيور تنشد أناشيد الأمل والسرور ، وروض الأمانى أضاء وهو مبتسم من عذب النجوى وتباشير الأمل .

أجل ، هذا هو الحجاز !

هذا هو الحجاز موطن الإسلام الأول ، ومهبط الوحى ومتنزل القرآن ومنه انبثق نور الهدى وأضاء العالم بأسره .

هذا هو الحجاز وفيه قد تألقت شموس الحضارة ، وانفجر ينبوع البلاغة العربية وسن نظام الكون بأسره .

هذا هو الحجاز الذى نشأت فيه الرســـل ، وتفرعت منه الدول حتى تزعم الدنيا بأسرها دينا وعلما وأخلاقا ، ومدنية وحضارة وسؤدداً .

هذا هو الحجاز ! وهذا هو البلد الأمين المقدس الذى قال فيه شاعره الفذ الأستاذ العواد :

من هنا شع للحقيقة فجر   من قديم ومن هنا يتجدد

فن الحجاز ، وبين رماله القفراء ، وفيافيه وصحاراه برز أعظم قانون عالمي يستحيل على أكبر أمة أن تأتي بمثله مهما بلغت في العلم والفكر والحضارة .

من الحجاز استمد العالم شعلة التمدن واقتبس أصول الفكر وقواعد التهذيب ، ومعاني الحكمة والاختراع حتى أصبح يصول ويتيه ويزمجر باسم الحجاز والحجازيين .

ومن الحجاز نشأ سيد الوجود وخاتم الرسل محمد بن عبد الله الذي بشر بالهدى وكان رحمة للعالمين .

ألا فليهدأ العالم ويتئد ويطمئن ! !

فإن في الحجاز أمة شهد لها التاريخ بأنها ذات سيادة ومجد وسؤدد ، أمة عرفت كيف تعيش وكيف تقبض على صولجان المجد والشرف المكين .

أمة عربية لا تقبل الضيم ولا التفرقة ولا الانقسام .

أمة عرفت كيف تصبر لقوارع الدهر ومحن الأيام حتى بلغت الذروة السامية واستعادت ماضيها الذهبي الدفين .

وفي الحجاز حكومة فتية سلاحها الدين ، وشعارها الوحدة والوئام ، حكومة موحدة تنظر لغاية واحدة ، وتناصر فكرة واحدة ، هي غاية الفضيلة وفكرة الكمال .

أجل ، هذا هو الحجاز ! !

هذا هو الحجاز ، وتلك هي حكومته التي لا تألو جهدا في تحقيق رغبات الأمة وتقدمها الثقافي والاجتماعي .

وحسبنا ما نشاهده اليوم من روائع الابتكار ، وبدائع الازدهار في شتى مرافقنا الحيوية .

فالنهضة العلمية قائمة على ساق وقدم ، وهاهي البعثات يتلوا بعضها بعضا تتدفق على الخارج ، ففي مصر بعثات على إختلاف أنواعها في شتى العلوم والفنون ، وفي أميركا وانكلترا بعثات فنية سوف تثمر ثمرا جنياً في القريب العاجل إن شاء الله .

والحركة الأدبية قد قطعت شوطا بعيداً ، وهاهم الأدباء والشعراء تتحدث عنهم الصحف والإذاعة والأندية على اختلاف أنواعها .

والمشاريع تسير سيراً مطرداً وهي مكشوفة للملأ أجمع بدون حصر أو تعداد ففي ظرف عشر سنوات فقط وجد الشيء الكثير الذي لم يكن في الحسبان ، ولم يكن ملحوظا من سابق الأزمان والعصور .

فحيا الله الحجاز وحكومته الرشيدة التي ما فتئت تفكر جدياً في كل أمر يعود نفعه على الشعب الحبيب .

فهذا هو الحجاز !

وكما تقول الآنسة الأديبة الشهيرة (مي) .

(بين شطي الماضي والمستقبل يجري نهر الحياة) .

وهاهو النهر قد جرى وأصبح خريره يدوى فى آفاق البلاد طولا وعرضا .

فحيا الله الحجاز وحكومته !

حيا الله الحجاز وقادته وزعماءه ورجاله المخلصين العاملين على إنعاشه .

فى ظل صاحب الجلالة الملك المحبوب أيده الله .

سؤال وجواب !

أو بيني وبين الناس

قالوا : هو الحظ ، هل أغناك أو سطعت
آفاق مجدك ، أوجادتك منه يد

فقلت: مهلا بني قومي أحدثكم :
لايبلغ المجد من في عينه رمد

ولاينال العلا من كان منكشفاً
حتى الكفاءات لم يأبه بها أحد

لكنها سنن الأحياء سائرة
مع الظروف ولو نيطت بها العقد

فهرست

صفحة

كتب للمؤلف

١ — نفثات من أقلام الشباب الحجازى (نفد)

بالاشتراك مع الأستاذين السيد هاشم زواوى والسيد على فدعق

٢ — الشعراء الثلاثة فى الحجاز (يطلب من المؤلف)

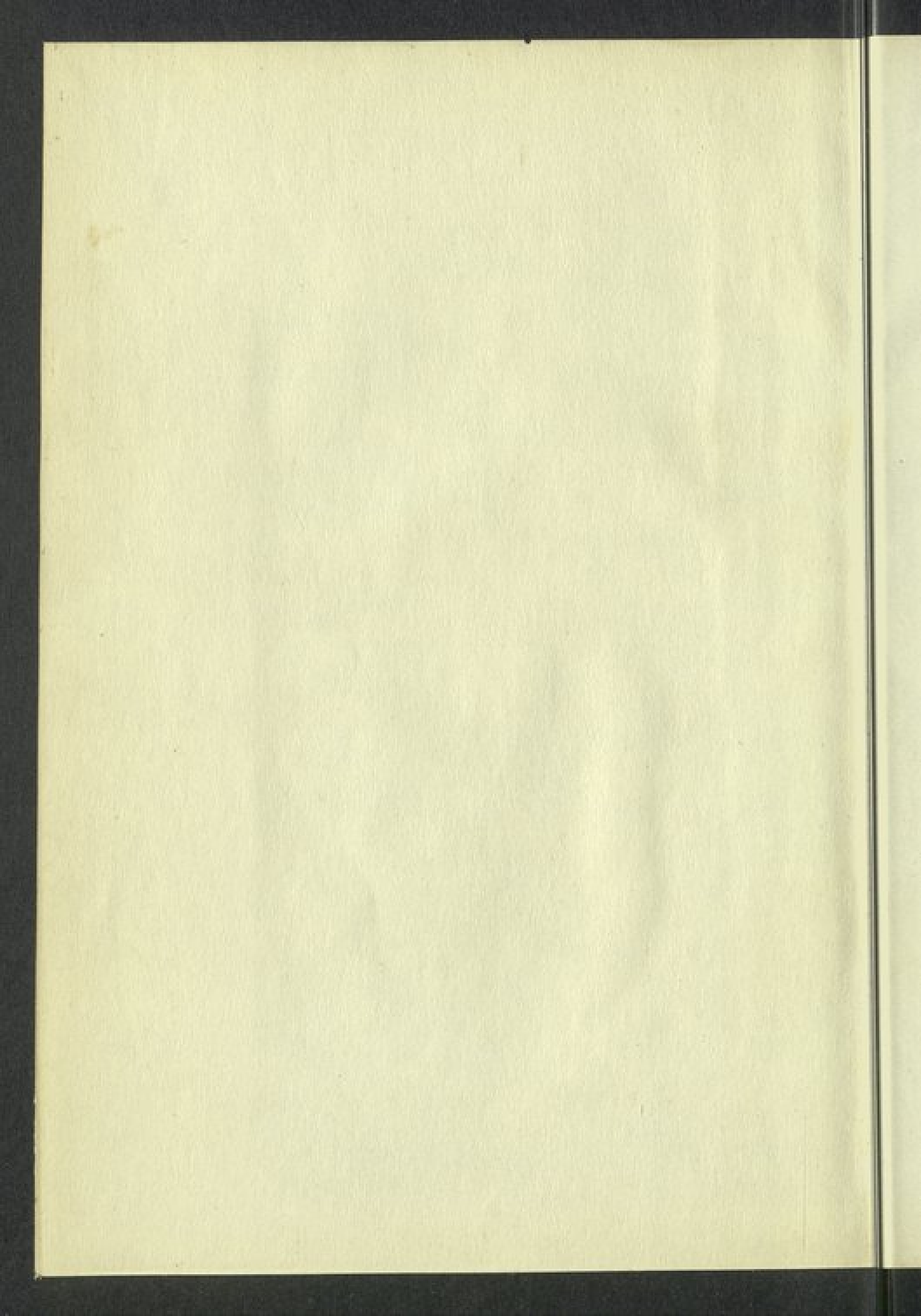
٣ — شعراء الحجاز فى العصر الحديث (« « «)

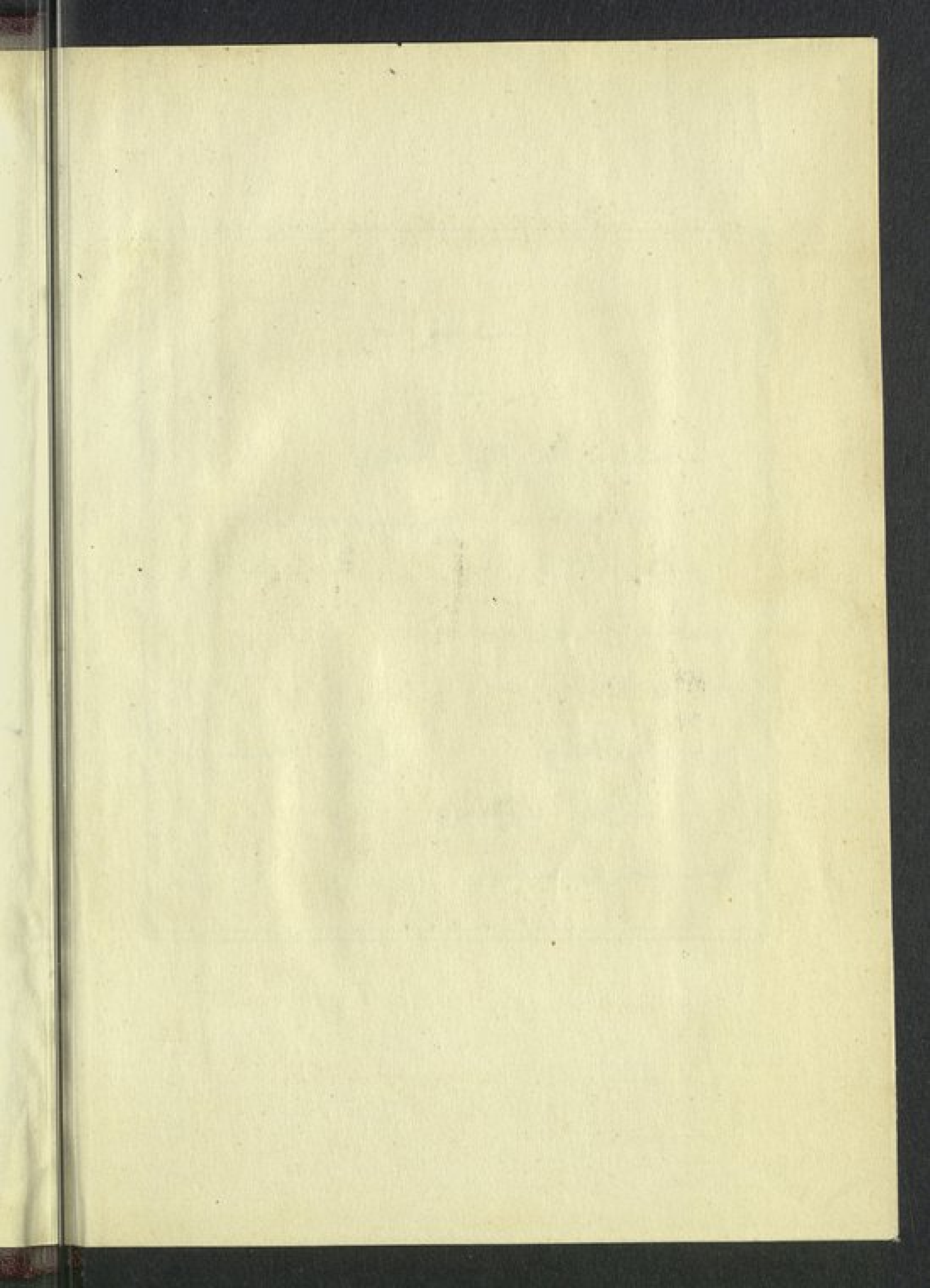
٤ — فى ظلال الصراحة (« « «)

٥ — مهدى المصلح (تحت الطبع)

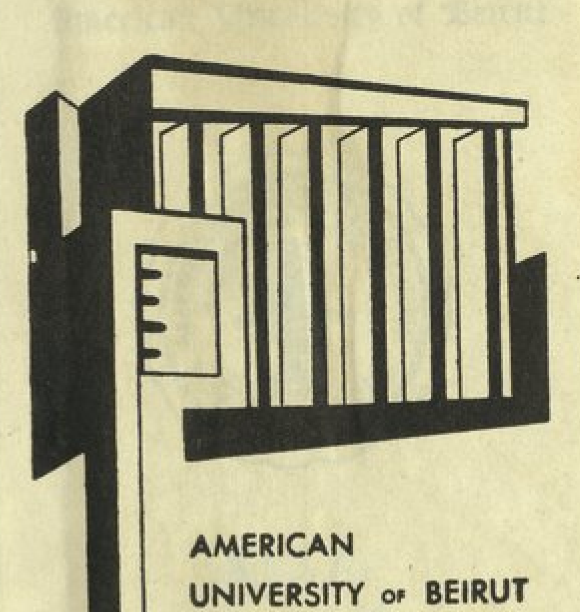
٦ — رسائل فى الأدب العصرى (« «)

٧ — الحجاز فى عصر النور (« «)








AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT